وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـامعـة الـجـزائـــر 2 ابو القاسم سعد الله

كلية العلوم الانسانية

قسم علوم الاعلام والاتصال

مطبوعة بيداغوجية في مقياس

الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية

Social and Cultural Anthropology

موجهة إلى طلبة السنة الثانية ليسانس بقسم علوم الاعلام والاتصال

اعداد الدكتورة: رزيقة حيزير

الموسم الجامعي 2022/2021

السداسي :الثالث

- عنوان الوحدة : وحدة تعليم استكشافية

- المادة : أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافة

- المعامل: 1

- مجموعة الارصدة: 1

- أهداف التعليم: تمكين الطالب من معرفة الأدوات المعرفية المتعلقة بتطور الثقافة والمجتمع أنثروبولوجيا"، وكذا معرفة التصنيفات ومسارات دراسة الثقافة، وقوانينها ود ور الانثروبولوجيا في المجتمعات المعاصرة.

- المعارف المسبقة المطلوب: المعطيات التاريخية والأركيولوجية والثقافية والاجتماعية المحصلة في السداسيات السابقة.

- محتوى المادة:

- مفاهيم أولية حول الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية

- التقاليد النظرية الانثروبولوجية

- طبيعة الثقافة، واقعها، علاقتها بالمجتمع والفرد، النسبية الثقافية.

- إثنوغرافيا الاتصال.

– التطور التاريخي لثقافة المجتمعات، وصيرورة التغيرات الاجتماعية والثقافية.

– العولمة وأثارها الاجتماعية والثقافية.

اللغات والهويات

-الفضاءات الثقافية الجهوية الكبرى -المشكلات الأنثروبول وجية المعاصرة

- طريقة التقييم: علامة الأعمال الموجهة 50 % + الامتحان % 50

- المراجع: كتب ومطبوعات، مواقع انترنت، إلخ...

فهرس المحتويات

المحتويات		الصفحة
مقدمة		
المحور الاوّل: مدخل إلى الانثروبولوجيا		
أولا: مفهوم الأنثروبولوجيا وعلاقاتها ببعض المفاهيم المشابهة	1. تعريف الانثروبولوجيا	08
	2. تعريف الاثنولوجيا	11
	3.تعريف الاثنوغرافيا	13
ثانيا: نشأة وتطوّر الانثروبولوجيا	1. الانثروبولوجيا في العهد اليوناني	15
	2. الانثروبولوجيا في العهد الروماني	18
	3. الانثروبولوجيا في عهد النهضة الاوروبية	20
	4. الانثروبولوجيا والحضارة الاسلامية	21
المحور الثاني: فروع الانثروبولوجيا		
أولا: الأنثروبولوجيا الطبيعية	1. ماهية الا نثروبولوجيا الطبيعية	30
	2. فروعها / اقسامها	31
ثانيا: الانثروبولوجيا الاجتماعية	1. . ماهية ال نثروبولوجيا الاجتماعية	33
	2. أهميتها	35
		37
ثالثا: الأنثروبولوجيا الثقافية	1. تعريفها	39
	2. نشاتها وتطوّرها	41
	3. أقسامها وفروعها	44
المحور الثالث: الانثروبولوجيا في حقل علوم الاعلام والاتصال		
أولا: انثروبولوجيا الاتصال	1. ماهية الاتصال	62
	2. التعريف بانثروبولجيا الاتصال	71
	3. فضاء الانثروبولوجيا الاتصال	74
ثانيا: الاثنوغرافيا في علوم الاعلام والاتصال	34. نشأة الاثنوغرافيا في علوم الاعلام والاتصال	78
	35. الاثنوغرافيا لدراسة الفضاء الافتراضي	86
خاتمة		89
قائمة المراجع		91

مقدمة

تتعدد وتتنوّع الرؤى البحثية في الأنثروبولوجيا ما ما يجعلها اكثر تعقيدا وبملامح خاصة تميزها عن السوسيولوجيا، حيث تأسست الأنثروبولوجيا كعلم متخصص أكاديمي في عصر الحداثة كغيرها من تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وتطوّرت وهي بين أحضان التفكير والبحث العلمي الذي تميّز بظهور نظريات ومناهج كثيرة متباينة حاولت تفسير تاريخ الوجود الانساني، انطلاقا من جدلية هيجل وماركس والنزعة التطورية الداروينية وسيكولوجية فرويد وسوسيولوجية دوركايم.... وغيرها من أنماط وانواع التفكير العلمي ذات الصلة ببروز البحث الأنثروبولوجي كنوع معرفي قائم على التفسير العلمي الجاد لسلوكيات الإنسان المختلفة.

ولأنّ معالجة التفكير العلمي لا يتم بعيدا عن العوامل المحيطة، فان الامر ادى الى ظهور تفسيرات علمية ومناهج بحثية حاولت الولوج الى تفاصيل حقيقة الحياة الانسانية بكل تناقضاتها، حيث كانت النزعة الإنسانية مناهضة للظلم الذي عاشه الإنسان من تهميش لإرادته الحرة، وما تعرض إليه حسب تفسيرات نظرية التعويض الإلهي من هيمنة وتحكم العالم الخارجي في تفكيره وتقرير مصيره، بما يتوافق ورغباته وميولاته في تحقيق الوعي الذاتي الإنساني بعيدا عن طقوس الفكر العبودي وكل تمييز عنصري، وهو ما نلمسه عند فريدريك نيتشه من خلال الإبداع الفني والطاقة الإنسانية وبزوغ العقل الإنساني العلمي. وهي نزعة سقراطية تتجذر لتتبنى شعارا واضحا مفاده: "أعرف نفسك بنفسك"، والتي كانت إحدى دعوات سقراط للبحث عن الحقيقة الداخلية للإنسان، ثمّ انبثقت عنها إرهاصات فكرية عزّزت هذا التجاه الانساني، وأبرزته عبر معرفة جديدة تحت ظلال العصر التنوير ي الذي نتج عن حركة ثقافية ساد ت في أوروبا خلال القرن الثّامن عشر، ركّزت على قوّة العقل لتقدّم الفكر والمجتمع، مع تشجيع الفكر العلمي القائم عىل أساس الملاحظة الحسيّة والاستقراء، ما نتج تخلي معظم الفلاسفة عن الموروث القديم في تفسير الظواهر بما فيها تلك الموجودة في حقل العلوم الانسانية والاجتماعية. الامر الذي أفرز ميلاد النزعة الإنسانية كمعرفة علمية متخصصة تستخدم

لأول مرة مصطلح الأنسنة، بمعنى الخصائص المميزة للإنسان عن سائر المخلوقات، لتتطور فيما بعد إلى اتجاه تربوي يهتم بالآداب والثقافات التي ترفع من قيمة الانسان التي تعتبر قيمة نهائية.

تطوّر الاتجاه ونضج لاحقا خاصة من خلال الوجودية السارترية بوصفها مذهبا إنسانيا متكاملا أو كما عرفه جون بول سارتر "نعني بالمذهب الإنساني الوجودية التي تجعل الحياة الإنسانية ممكنة، بمعنى التركيز والتعمق أكثر في الذاتية الإنسانية".[1] وقد دافع سارتر عن حرية الإنسان وكرامته الإنسانية بعيدا عن حتمية اللاشعور التي وظفها المذهب البنيوي، تحديدا التحليل النفسي. الامر ادى ايضا الى تمازج وتزاوج أفكار الاتجاه العلمي المربوط بقاوانين الطبيعة بالاتجاه الادبي والفلسفي حيث ظهر من يميل بتفكيره إلى المقاربة العقلانية، ومن يتكئ على المقاربة الحسية التجريبية، لك وهو تمازج انتهى إلى التسليم بموضوعية الحقيقة وقدرة الإنسان.

في هذا المضمار نجد جهود عبد الرحمان بن خلدون ايضا قد تفتقت عبر العصبية ، التي تعتبر من بين النظريات الاجتماعية الهامة التي حاولت التغلغل في تفاصيل حياة نشوء المجتمعتات الانسانية، ورابطة الدم والقرابة ورابط الدين في بث روح التضامن بين أفراد المجتمع الواحد. ووصل الى حد وضع تصنيف لانواع المجتمعات حيث باين بين المجتمعات البدوية والحضرية، كما فسّر مراحل قيام وتطوّر الحضارات.

بشكل عام." تحتل آراء ابن خلدون في قيام الحضارات وسقوطها وأطوارها مكانة عظيمة، إذ تعد أول محاولة عقلانية لتفسير التاريخ الإنساني إجمالا. كذلك سجل الرحالة الفقيه ابن بطوطة المغربي، الذي زار عددا هائلا من البلدان، برا وبحرا، ما شاهده في رحلاته من أحوال الرعية والأسواق والحكام وغيرها من أدق تفاصيل المجتمعات، لا تقل اهمية عن حصيلة أوروبا من المشاهدات والروايات الوصفية التي

[1] Fabre, Daniel: *Domestiquer l'histoire. Ethnologie des monuments historiques*, Maison des Sciences de l'Homme, Ministère de la Culture, Paris, 2000, p12

جاءت نتيجة للرحلات الاستكشافية متنوعة الأغراض، ما بين السياحة الدينية والتجارة والتبشير والحملات الصليبية، وغطت مختلف أنحاء العالم القديم.

ولان موضوع الانثروبولوجيا شيق فإنّنا حاولنا من خلال هذه المطبوعة البيداغوجية الالمام قدر المستطاع بكل جوانب هذا العلم الذي وثّق حضور الانسان عبر الازمنة المتعاقبة، ووثق اليوميات ومختلف الممارسات بهدف ايجاد التفسير اللازم والمعقول، ثمّ المقارنة بين أهم التغيرات التي هزت بالمجتمعات الانسانية وبالإنسان.

كما سنطرح ايضا أهمية الانثربولوجيا في حق علوم الإعلام والاتصال خاصة مع المظاهر التي افرزتها الثورة الاتصالية التي شهدتها وسائل الإعلام والاتصال. ومن هنا فإننا نحاول في هذه المطبوعة طرح علاقة الانثروبولوجيا واتجاهاتها بمخلفات تطوّر تكنولوجيا الإعلام والاتصال. حيث سنبدا من محاولة معرفة ماهية الانثروبولوجيا وكل ما يحيط بها من علاقات وتطوّرات ومصطلحات، وبعدها الوصول الى الانثربولوجيا في عالم البيئة الجديدة للاتصال والاعلام، حيث تتميّز مكونات الظاهرة الإعلامية والاتصالية بالتداخل والتعقيد غير المعهود. انطلاقا من الايمان بان ا انثروبولوجيا يستجيب لكل الحركات والتغييرا التي تشهدها المجتمعات والمحيط، للك تتغير مجالات اهتماماتها وفق ما يتلاءم وهذه التغييرات. المتمعن في ما يعرضه مسرح البيئة الاتصالية والاعلامية عبر عبر التاريخ، يلاحظ أنها بيئة ارتبطت من حيث الاتصال بظهور الانسان، اما من وجهة الاعلام فقد ارتبطن بظهور الثورة الصناعية وبحركة الرأسمالية التي ازدهرت في القرن التاسع عشر، وبسياق التكنولوجيا الحديثة الذي البس الاتصال خاصية الكثافة والسرعة والانتشار.

المحور الاوّل: مدخل إلى الانثروبولوجيا

أولا: مفهوم الانثروبولوجيا وعلاقتها بالمفاهيم المشابهة

1: مفهوم الانثروبولوجيا

تتعد تعاريف الأنثروبولوجيا بسبب اتساع فروع ومجالات هذا الحقل المعرفي، فضلا عن الشمولية التي يتميز بها، وعليه فالتعريفات قد تتفق في أحيان، كما تختلف وتتداخل في أحيان أخرى، فإذا نظرنا في كلمة أنثروبولوجيا وجدناها تتكون من أصليين يونانيين أولهما anthropos ومعناها الإنسان. والأصل الثّاني logos وهو يعني العقل أو العلم أو الكلمة. كما تتداول في كتابات الفلاسفة المسحيين والمسلمين وهكذا تعني كلمة الانثروبولوجيا علم الإنسان."[2]

كذلك نجد في المعاجم العربية تعريفا يقدم الأنثروبولوجيا بأنها علم الإنسان، وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري، وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته وفي السلالات البشرية وخصائصها ومميزاتها،[3] كما تعرف على أنّها عبارة عن تقديم للمعلومات الاصيلة بخصوص شخصية وعادات ورغبات القبائل غير المتحضرة،[4] وهي البذرة الاولى التي تبناها التيار البريطاني، فجمعت ونسقت الدراسات المتباينة والكثيرة، التي تمت في هذا المضمار بشكل منظم ودون أي تقليل من شأن أي من تلك التقارير أو المعلومات التي كانت تحويها. وهي الخطوة التي ادّت الى ميلاد جمعية الاثنولوجيا في لندن سنة 1844، والتي اسسها رواد كانوا باحثين ذكورا بلغ عددهم ثمانية وثلاثين (38) عضوا ينحدرون من تخصصات علمية وتوجهات فكرية مختلفة ومتعددة.

لذلك تظهر الانثربولجيا على انها كانت من اعقد القضايا العلمية المتصلة بدراسة العلاقات بين التضكلات الاجتماعية وما حمله الذات الانسانية من سيمات. ورسمت هذه الجمعية برنامجا بحثيا يستهدف "البحث عن الصّفات المميزة في الشّخصية والشّكل الطبيعي والاخلاق وتنوعات النوع

---

[2] محمد عبده محجوب، "**الاتجاه السوسيولوجي أنثروبولوجي في دراسة المجتمع**"، وكالة المطبوعات، الكويت، بدون تارخ للنشر، صص 11- 12.

3 **المعجم العربي الأساسي**: منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم . توزيع لاروس 1989، ص 112

[4] بارث، فريديريك، غنيغريتش اندريه، باركن روبرت، سفيلرمان سيدل: "**الانثروبولوجيا: حقل علمي واحد واربع مدارس**"، ترجمة باقادر ابو بكر أحمد، الالوكيلي ايمان، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسيات، 2017، ص 17.

الانسانس لسكان الارض، والتيقن من اسباب هذه الصّفات."[5] كما يلخص التعريف القائل بأن الانثروبولوجيا هي علم دراسة الجماعات الإنسانية وسلوكها وإنتاجها.[6] الاهداف الحقيقية لهذا العلم الذي لطالما سعى الى اكتشاف خبايا الاخر غير المعروف، مع اختلاف الاهداف غير الظاهرة بطبيعة الحال، لانها كانت بالنسبة لمن ارتكب مجازر رهيبة وقاسية في حق هذا الاخر تقارير لبناء خطط الاعتداء على ممتلكاته.

إذًا الضرورة في علم الأنثروبولوجيا هو الاهتمام بدراسة تفاصيل الحياة الاجتماعية للانسان، ومراحل مظاهر تفاعل تلك التفاصيل وتطورها عبر الزمان والمكان، على غرار رابطة الالفة التي ربطها الانسان مع البيئة الطبيعية ونسجه لانواع تفاعلاته وممارساته المتباينة مع ما يتوافق وخصائصها، وانتاجه لطقوس وعادات وممارسات ونشاطات ووظائف اجتماعية، واختلاطه وتواصله مع غيره. ويتم الإشارة إلى علم الإنسان بعدة مسميات من بينها: علم الإنسان، علم الجماعات البشرية وسلوكياتها أو علم الحضارات والمجتمعات البشرية، ويهتم علم الأنثروبولوجيا بدراسة الانسان كائنا اجتماعيا يحيا في وسط جماعة ينتمي إليها بكل خصاصها.[7]

ومن بين الجهود التي حاولت التدقيق في وصف وتعريف الأنثروبولوجيا نذكر المحاولة التي ترى بأنّ هذا العلم هو الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة... ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكات محددة.[8] كما أن الاهداف الحقيقية الانثروبولوجيا لا تتوقف عند هذا الحد لاننا نجدها ايضا بالاضافة إلى دراسة الحياة

---

[5] نفس المرجع، ص 18.

[6] رشوان، حسين عبد الحميد: "**الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي**"، المكتب الجامعي، مصر، 2010، ص 9

[7] أحمد ابو هلال: "**مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية**،" المطابع التعاونية، عمان 1974، ص 12.

[8] رشوان، حسين عبد الحميد، مرجع سبق ذكره، ص 03

البدائية، تدرس حيثيات الحياة المعاصرة، بغية التنبؤ بمستقبل الإنسان[9] وبالتالي التّحكم في بعض متغيراته ومفاجآته... لذا يعتبر علم دراسة الإنسان علما متطورا يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله أي الدراسة المتكاملة للإنسان بما يحويه من جوانب سيكولوجية وبيولوجية وفيسيولوجية وثقافية واجتماعية.[10] يعني ذلك أن الأنثروبولوجيا لا تعني بدراسة الإنسان ككائن معزول أو مفصول عن بيئته ومحيطه وبني جنسه إنما تدرسه بكل ما يحوي من جوانب بيولوجية، جسدية، نفسية، ثقافية واجتماعية.

وتقول الباحثة مارجريت ميد Margaret Mead التي عاشت للاهتمام باكتشاف الاخر وطالما أثرت تقاريرها: "نحن نصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وسائر الأماكن ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا ونعنى أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته."

بقدر ما عرفت الانثروبولوجيا بتعاريف اختلفت باختلاف المنطلقات البحثية والفكرية، بقدر ما تبقى علما يدرس النظم ومظاهر السلوكات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية... ومجالات الثقافة بمكوناتها اللامتناهية (الدين، والقيم والعادات، لتراث الفكري وأنساق الفكر والإبداع الأدبي والفني...)، وعليه فإنّ التعريف الذي ورد في قاموس الأنثروبولوجيا كان الاشمل حيث يختزل ثراءها واتساع مجالات البحث فيها "إن الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا.[11] وهي لا تزال تستجيب وتتمايل مع مختلف الحركات والتغييرات التي تشهدها المجتمعات، لتغيّر وتجدد من مجال اهتماماتها الاساسية بما يتلاءم وهذه التغييرات والمستجدات.

---

[9] نفس المرجع السابق

[10] الجوهري، محمد، شكري علياء: "**مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا**"، دار المعرفة، القاهرة، 2007 ، ص 18

[11] ابراهيم، الزهرة: "**الأنتربولوجيا والأنتروبولوجيا الثقافية**"، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، 2009، ص 21

2. مفهوم الاثنولوجيا Ethnology

استخدم هذا المصطلح الانجليزي خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر من قبل الباحثين والعلماء ليدل على دراسة الاختلافات الثاقفية والسيمات التي تميز الطبيعة المشتركة لدى شعوب العالم. [12] ويتكونّ لفظ الاثنولوجيا من جزأين ethnos الذي يعني شعب وlogos الذي يعني دراسة، وهي العلم الذي يدرس تكوّن وتحوّل الأعراق البشرية المختلفة من النّاحية الجسدية.[13]

و"يستطيع عالم الاثنولوجيا أن يستعيد العناصر الأساسية لثقافة مجتمع منقرض، من آخر رجل من هذا المجتمع بقي على قيد الحياة، كما يستطيع أن يستعيد المهارات الخاصة التي سبق أن تدرّب عليها هذا الرّجل."[14] ويذكر في كتاب الاثنولوجيا أن مصطلح اثنولوجيا استخدم سنة 1787 لاوّل مرة في كتاب الباحث شافان Chavannes الموسوم بدراسة عن التربية الفكرية مع مشروع لعلم جديد.[15]

وتنتج لنا الاصول التاريخية ان هذا العلم ليس علم الانسانيات، وليس دراسة علمية للمجتمعات الاخرى، بل هو بحث مقارن ومتعاكس مرتبط بتفاؤل ذي طابع فلسفي حول مصير وقيمة الحضارات، فالنص الاساسي في علم الاثنولوجيا هو الدراسة الاحادية la monographie أي التحليل الاولي لتجمع بشري او مؤسسة معينة اوواقع اجتماعي خاص، يقوم به عالك اكتسب معرفة عميقةن وتجربة تعامل بالارضية التي يبحث فيها.[16]

وعليه فإنّ الإثنولوجيا تسعى بحسب اغلب الكتب والدراسات إلى إقامة علاقات مقارنة وأوجه تشابه بين خصائص الشعوب المختلفة، من خلال الجوانب التالية: الدين والتعبير الرمزي، والتنوع الثقافي، والعادات، واللغة،

---

[12] اريسكن،توماس هسلاند، نيلسن، فين سيفرت: **"تاريخ الانثروبولوجيا"**، ترجمة عبده الريس، المركز القومي للترجمة، مصر، 2014، ص 9

[13] *"Dictionnaire Quillet de la langue française,"*op.cit.

[14] رالف لينتون،**" دراسة الانسان"**، ترجمة: عبد المالك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، 1964، ص 384.

[15] تولرا، فليب لابورت، فارنييه، جان بيار: ***"الاثنولوجيا، الانثروبولوجيا"*** ، ترجمة الصمد، مصباح، مجد المؤسسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان، 2004، ص 27.

[16] نفس المرجع، ص 30.

وتنظيم الأسرة، والنظم الاجتماعية والسياسية، والنظم الاقتصادية للمجتمعات، من بين نقاط أخرى مهمة. وتمر الإثنولوجيا بسلسلة من الخطوات لتحقيق هدفها. أولاً، يقوم بتحليل وتنظيم المواد التي تم جمعها، واختيار المادة، وعرض النص في النهاية، كأساس نظري، من أجل إظهار أوجه التشابه والاختلاف بين المجتمعات قيد الدراسة.[17] إنّ الهدف الحقيقي من هذا العلم والجهود التي تصب في مضماره هو المقارنة بين المجتمعات او بين مجتمع الباحثين ومجتمعات اخرى، وهو ما يصب في اطار عملية او العلم المقارن. هذا النوع جاء نتيجية الاحتكاك المتزايد بشعوب اعتبرت نماذج لازمنة خالية قليلة الانتباه الى التغييرات التي طرات على تلك الشعوب. وعلم الأعراق هو علم ذو أهمية قصوى لأنه اكتشف ونشر المعرفة في مجالات مختلفة، مثل الطب والهندسة المعمارية وعلم النفس وعلم الأحياء، من بين أمور أخرى، مما يسمح بمراقبة جوانب مختلفة من التطور مع دراسة الحضارات المختلفة، مثل: الجوانب البشرية للإنسان والأنظمة الاقتصادية القديمة وأنظمة الحكومات والعادات والسلوكيات وما إلى ذلك.[18]

اذا كانت الانثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس النظم ومظاهر السلوكات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية... والأثنوغرافية هي دراسة لأسلوب الحياة والعادات والتقاليد، وفإنّ والدراسات الأثنولوجية هي تلك الدراسة المقارنة، لأساليب الحياة للوصول إلى نظرية النظم الاجتماعية.

[17] نفس المرجع ص 28

[18] المرجع نفسه

3. مفهوم الاثنوغرافيا Ethnography :

"ظهر مصطلح الاثنوغرافيا خلال القرن الثامن عشر وهو لفظ اغريقي يعني جماعة أو شعب. وإلى غاية القرن التّاسع عشر أخذ المعنى المتفق عليه حاليا وهو: وصف الأفعال."[19] ويعتقد داياس Dais أنّ هذا المصطلح ظهر عام 1807، على يد غامبل Gample ليعني وصف الشّعوب وهو المعنى الكلي للكلمة إلى أيامنا هذه."[20] من هنا يفهم أنّ الاثنوغرافيا ليست فقط "الدّراسة الوصفية لطريقة وأسلوب الحياة لشعب من الشّعوب أو مجتمع من المجتمعات."[21] بل هي "ملاحظة وتسجيل المادة الثّقافية للميدان وهي تعني وصف أوجه النّشاط الثّقافي."[22] وهناك من الباحثين من يرى أنّ الاثنوغرافية هي الجزء الوصفي من النّياسة Ethnos قوم، ناس ووصف Graphein وهو يتخذ في كثير من الأحيان صبغة الأدروسة المونوغرافيا التي تتناول جماعة مجتمعية معينة أو مؤسّسة تضمّ عدّة جماعات (تقنيات، زواج، عبادة دينية.."[23] وقد جاء في قاموس ``Quillet de la langue française`` أنّ الاثنوغرافيا لفظ يتكون من جزأين ethnos الذي يعني شعب وgraphien الذي يعني وصف. وبالتّالي هي دراسة وصف سلوكات وتقاليد الشّعوب والأعراق وتطوّرهم المادي والاجتماعي.[24]

وتعتبر الاثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثروبولوجيا وتتجذّر عبر ما قام به الأوربيون من وصف للقبائل والشّعوب المحليّة التي استعمروها في أمريكا وإفريقيا واستراليا وآسيا حيث وصفوا أدواتهم وعاداتهم وتقاليدهم وكلّ ما يتّصل بثقافاتهم المادية المختلفة، وسرعان ما تبني

---

[19] Baptiste Cléret, ``L'ethnographie comme démarche compréhensive: immersion dans les dynamiques consommatoires du rap en France``, *"revue Recherches qualitatives"*, Vol. 32(2), 2013 , tiré de: www.recherche-qualitative.qc.ca/Revue.html , consulté le 01 08 2015 à 12.28, p 50.

[20] إيكه هولنكرانس، **"قاموس مصطلحات الانثروبولوجيا والفلكلور"**، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، ط 2، دار المعارف، مصر، 1973، ص 15.

[21] ميشال دينكن، **"معجم المصطلحات الاجتماعية``**، ترجمة محمد الحسن، ط 2، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، 1986، 91.

[22] إيكه هولنكرانس، المرجع سابق الذكر، ص 15.

[23] جاك كومبار، **"مدخل إلى الاثنولوجيا"**، ترجمة حسن قبيسي، ط 1، المركز الثّقافي العربي، بيروت، 1997، ص 12.

[24] "*Dictionnaire Quillet de la langue française*," op.cit.

الأنثروبولوجيون هذه المعلومات واستخدموها في دراساتهم لتطوير المجتمع البشري. حيث استعارها باحثوا علم الآثار واستخدموا هذه المعلومات حول المجتمعات البدائية والبسيطة والتّقليدية لاسترجاع نماذج من مجتمعات ما قبل التّاريخ والتّاريخ القديم وذلك عن طريق عقد المقارنات البسيطة وحتى أسماء ووظائف الأدوات التي توجد في المواقع الأثرية أخذت من ما هو معروف لدى الشّعوب البسيطة التي درسها ووصفها الاثنوغرافيون. وهكذا فإنّ استخدام الاثنوغرافيا في الآثار قديم قدم العلم نفسه. وإذا كان "اصطلاح الاثنوغرافيا في بريطانيا يعني البحوث الوصفيّة والتّحليلية التي قام بها علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون حول الشّعوب والأقوام البدائية التي درسوها دراسة ميدانية."[25] فإنّ مصطلح الاثنوغرافيا يستخدم كثيرا في بلاد شرق أوروبا والاتحاد السّوفيتي (روسيا حاليا) ومن أهمّ مجالات الاثنوغرافيا دراسة التّنظيمات الاجتماعية والمجتمعات البدائية وخاصة فيما يتعلّق بالتّحولات في تلك المجتمعات عند تحوّلها إلى دولة جديدة وما يتبعه من بروز للطّبقات الاجتماعية ويهتمّ الاثنوغرافيون الرّوس بدراسة المشاكل المتعلّقة بالجماعات العرقية، المشاعر القومية للأقلّيات ويطوّر المجتمعات الإنسانية في إطار النّظرية الماركسية. وأمّا في الولايات المتّحدة الأمريكية فلا توجد هناك علاقة وثيقة بين علم الاثنوغرافيا والأنثروبولوجيا الاجتماعية بل هي على علاقة مع الاثنولوجيا.[26]

[25] ميشال دينكن، مرجع سابق الذكر، ص 91.

[26] حسين فهيم، "**قصّة الانثروبولوجيا: فصول في تاريخ الانسان**"، عالم المعرفة، فبراير، 1986، ص 17.

ثانيا: نشأة وتطوّر الانثربولوجيا

1. الانثروبولوجيا في عهد الإغريق/ اليونان

احتلت الأنثروبولوجيا مكانة لا يستهان بها في الكتابات اليونانية القديمة باختلاف منطلقاتها الفكرية سواء كانت التاريخية أو الفلسفية حول الطبيعة البشرية وتنظيم المجتمع البشري، حيث يعتبر علماء الأنثروبولوجيا أن المؤرخ اليوناني هيرودوت Herodotus هو أول مفكر يكتب عن المفاهيم التي أصبحت فيما بعد مركزية ومن اساسيات علم الأنثروبولوجيا، إذ وصف ثقافات مختلف شعوب الإمبراطورية الفارسية، التي غزاها الإغريق خلال النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد، وأشار إلى اليونان باعتبارها الثقافة السّائدة في الغرب، وثقافة بلاد فارس كانت الثقافة السائدة في الشرق.

يعدّ المؤرخ والفيلسوف والانثروبولوجي الإغريقي (اليوناني) هيرودوتس Herodotus (484-424 ق.م)، أول من صوّر الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة وجود تنوّع وفوارق فيما بينها، من حيث النواحي السلالية والثقافية واللغوية والدينية. وعرف عن هذا المفكر ا اغريقي بكثرة رحلاته حول العالم وكتباته للمشاهدات المباشرة للعديد من الشعوب والتقاليد المختلفة، حيث اجرى مقابلات لا تختلف عن تلك التي يجريها باحثو الانثروبولوجيا اليوم، مع مخبرين رئيسيين، فسجل أقوالهم عن الذرية.[27] لذلك، يعتبره معظم مؤرّخي الأنثربولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأوّل في التاريخ . فهو أول من قام بجمع معلومات وصفيّة دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية-حوالي خمسين شعباً-، حيث تناول بالتفصيل تقاليدهم وعاداتهم، وملامحهم الجسميّة وأصولهم السلالية .[28] وقد كتب قائلا: "... إذا كان على امرئ أن يعرض على الناس اختيار أفضل ما يبدو لهم من جميع التقاليد واثقين أنّ اعرافهم يفحصونها كلها

[27] بيلتو، بيرني: "**دراسة الانثروبولوجيا: المفهوم والتاريخ**،" ترجمة سعد الدين كاظم، بيت الحكمة، بغداد، 2010، ص 31.

[28] Darnell, Regna and Editor, *Reading in a history of Anthropology*, University of Illinois, 1978, p 13.

وفي النّهاية يفضلون تقاليدهم الخاصة بهم واثقين أن اعرافهم الخاصة تفوق اعراف الاخرين جميعا..."[29]

كما كتب يصف الطبيعة الخلابة في ليبيا قائلا : "وعند الأمونيين نبع آخر يكون ماؤه دافئا عند الفجر، ثم يزداد برودة وقت انعقاد الشروق ويغدو باردا عند الظهيرة - وفي الوقت بالذات يرون جنانهم. وكلما تقدم النهار قلت برودة الماء. حتى إذا ما غربت الشمس يأخذ الماء في الدفء وتزداد درجة حرارته تدريجيا، وتبلغ ذروتها عند منتصف الليل فيغلي الماء حينذاك ويفور. وبعد منتصف الليل تبدأ حرارة الماء في الهبوط تدريجيا حتى الفجر، ويدعى هذا النبع نبع الشمس."[30]

وأمّا عن المقارنة بين بعض العادات الإغريقية والليبية، فيقول : " يبدو أنّ ثوب أثينا ودرعها وتماثيلها، نقلها الإغريق عن النساء الليبيات. غير أنّ لباس الليبيات جلدي، وأنّ عذبات دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست ثعابين، بل هي مصنوعة من سيور جلد الحيوان، ما عدا ذلك، فإنّ الثوب والدرع في الحاليتين سواء... ومن الليبيين تعلّم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول الأربعة. "[31]

وممّا يقوله في عادات المصريين القدماء: " إنّه في غير المصريين، يطلق كهنة الآلهة شعورهم، أمّا في مصر فيحلقونها. ويقضي العرف عند سائر الشعوب، بأن يحلق أقارب المصاب رؤوسهم في أثناء الحداد، ولكن المصريين إذا نزلت بساحتهم محنة الموت، فإنّهم يطلقون شعر الرأس واللحية. "[32]

وبناء على هذا الوصف الكثيف الجاد يروج الكثير من علماء وباحثي الأنثروبولوجيا، أنّ الاغريقي هيرودوتس قد ارتكز على منهج يقارب المنهج الاثنوغرافي في وصف ثقافات الشعوب وحياتهم وبعض نظمهم الاجتماعية.

---

[29] بيلتو، بيرني، مرجع سابق الذكر، ص 32.

[30] علي فهمي خشيم، **نصوص ليبية**، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، 1967، ص 183

[31] نفس المرجع، ص 13

[32] محمد صقر خفاجة، **هيرودوت يتحدث عن مصر**، دار العلم، القاهرة، 1966، ص 120.

2. الانثروبولوجيا في عهد الرومان

كانت طروحات مفكري وباحثي الإمبراطورية الرومانية امتدادا لما طرحه اليونانيون من قبلهم حول وضعيات الاختلاف وطبيعة بناء المجتمعات البشرية. وكتب الروماني كورنِليوس تاسيتُو س (55- 120 م) عن ثقافة بدائية ميزت الجنس الجرماني في 98 ق.م، حيث وصف اخلاق وعادات القبائل الجرمانية، ووصف بيئتهم الجغرافية كما حذر خلالها الرومانيين من قوّة وشجاعة الجرمانيين الذين قد يكونون يوما ما سببا في سقوط روما. ولاحظ في اخلاقهم انهم جنس جاد لا يجد المتعة في الرذيلة ولا في الفسق، بالاضافة الى انّ الرجل منهم يكتفي بزوجة واحدة، يدفع هو لها المهر وليس العكس. وبعدها لم يكن هناك دراسات اخرى مماثلة تعتمد الملاحظة النزيهة والتفسير العلمي للمجتمع والسلوك البشري. [33]

لهذا لم يركز كثيرا الباحثون الأنثروبولوجيون على الفكر الروماني الذي يكاد يفتقر إلى الإسهامات الأصيلة في نشأة علم مستقلّ لدراسة الشعوب وثقافاتهم، أو تقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات. باستثناء ما قدمه الشاعر كاروس لوكرتيوس (ي 99-55 ق م) من أفكار اجتماعية من خلال قصيدة مطوّلة دعاها «في طبيعة الأشياء» De rerum natura، حيثوصفمن خلالها خصائص المادة وطبيعة الذرّات التي يتألف منها الكون، وتحدّث عن أصل الإنسان والأحوال الجوية والزلازل والأمراض وغيرها، وعرض موضوعاته في ستة أبواب رئيسة، ضمنّها أفكاره ونظرياته عن المادة وحركة الأجرام السماوية وشكلها، وتكوين العالم .، وخصّص الباب السادس لعرض فكرتي: التطوّر والتقدّم، حيث تحدّث عن الإنسان الأوّل والعقد الاجتماعي، ونظامي الملكية والحكومة، ونشأة اللغة، إضافة إلى مناقشة العادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى .[34]

[33] بيلتو، بيرني، مرجع سابق الذكر، ص 33.

[34] حسين فهيم، مرجع سابق الذكر، ص47

وقد رأى بعض الأنثروبولوجيين، أنّ /لوكرتيوس / استطاع أن يتصوّر مسار البشرية في عصور حجرية ثمّ برونزية، ثمّ حديدية .. بينما رأى بعضهم الآخر في فكر لوكرتيوس، تطابقاً مع فكر لويس مورجان – L. Morgan (1818-1881) أحد أعلام الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر. وذلك من حيث رؤية التقدّم والانتقال من مرحلة إلى أخرى، في إطار حدوث طفرات مادية، وإن كان مردّها في النهاية إلى عمليات وابتكارات عقلية [35].

3. الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية

بعد الاوضاع التي عاشتها القارة الاروبية خلال فترة لُقبت بعصر الظلمات، حيث تدهور التفكير في بلدان اوروبا، بسبب سيطرة الكنيسة على الأوضاع ومحاربتها لكل ما لا يخدم المسيحية وتعاليمها، سواء وان برزت بعض الجهود المقاومة الا انها بقيت سطحية بعيدة عن ان تكون امتدادا لجهود المفكرين الاغريق او الرومانيين خلال فترة ما قبل التاريخ.

لذلك يتّفق المؤرّخون على أنّ عصر النهضة في أوربا، بدأ في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية وما توصّل اليه المسلمون بفضل حركة الاستكشافات الجغرافية. كما توجه المنهج الفلسفي نحو المنهج العلمي التجريبي، في دراسة الظّواهر الطّبيعية والاجتماعية، حيث بلغ ذروته خلال القرن السابع عشر . [36]

ومن البديهي ان نذكر أنّ أوروبا عندما كانت تتخبّط في مشاكل هذه الفترة المظلمة؛ ازدهرت كل من الحضارة البيزنطية و الحضارة الإسلامية "ورغم أن الحضارة البيزنطية هي في أساسها مسيحية غربية، إلا أن انتقالها من غرب أوروبا إلى الشرق قد أكسبها الكثير من خصائص الحضارات القديمة والتراث الشرقي.

---

[35] Darnell, Regna and Editor,opcit, p 15

[36] Lafitau, Jean-François: 1983, *Mœurs des sauvages américains,* La Découverte, Paris, p33.

وقد عمت الحضارة البيزنطية جهات متعددة مثل سوريا وآسيا الوسطى وفلسطن ومصر، كما تأثرت أيضا بالحضارة اليونانية لدرجة أن اللغة اليونانية أصبحت هي اللغة المتداولة."[37]

وكانت الاكتشافات الكبيرة التي حققها الاوروبيون جراء الرحلات البحؤية والبرية الاهمية الحاسمة في تطوّر علم الانثروبولوجيا، وربما تكون رحلة كريستوف كولومبوس /إلى القارة الأمريكية ما بين (1492-1502) حيث زخرت مذكّراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد، بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتّسمت بالموضوعية نتيجة للمشاهدة المباشرة [38]. وقد كتب يصف السكان الاصليين للقارة الجديدة أمريكا بأنّهم جنس يتميّز بالخَلق والخُلُق الحسن، وبالبنية الجسدية القوّية، وبالسّخاء حد تقاسم ما يملكون مع غيرهم دون اية عقد.[39]

كانت رحلة كولومبس نحو هذا الجنس وارضه سنة 1492 الاثر العميق في احداث منعرج لم تعهده القارة الاوروبية التي تكالبت من اجل البحث عن ارض وموطن جديد ما تولّد عنه التطوّر السريع في الكتابات الانثروبولوجيا التي كانت السبب في الاكتشاف الثمين، حيث "كانت هذه الاكتشافات الجغرافية ولاجتماعية، وما ترتب عنها من معرف حول سكان الاخرين من حيث خصائصهم وطقوسهم وانماط حياتهم ومختلف ممارساتهم، وكل ما كشف عن كثب تنوّع الجنس البشري،فتح الشهية ايضا امام باقي الدراسات العلمي حول التطوّر عند الكائنات البشرية.[40] وهي الدراسات التي ساهمت بدورها في تطوّر نظريات الفكر الاجتماعي، وميلاد علم الأنثروبولوجيا، خلال عصر التنوير . وهو ما يظهر عبر مختلف الكتب التي انتجها الفلاسفة والمؤرخون والادباء وغيرهم من الباحثين، خاصة وأن هذه

---

[37] حسين فهيم ، مرجع سابق الذكر، ص 43

[38] اريكسن، توماس هيلاند، نيلسن، فين سيفرت، مرجع سابق الذكر، ص 19.

[39] Boorstin, Daniel J, *The discoveries A history of man's search to know his world and himself.* Vintage books edition, 1985, p 628

[40] Ibid, p 588.

الادبيات التي اعتمدت الوصف المكثّف لمختلف الأقاليم والشعوب غير الأوروبية قد فتحت عقول أوروبا على العالم الخارجي كما مثلت أمامهم حقيقة التنوع الهائل للجنس البشري سواء في أوصافه لجسمية أو نتاجه الحضاري أو الطبيعة التي كا ن يمكلها وينعم بثرواتها. وسنعود للاجتهادات في المحاور اللاحقة من هذه المطبوعة.

4. ألانثروبولوجيا و الحضارة الاسلامية

رغم تدهور الأمة الإسلامية، وتقلص الإسهامات العلمية لمفكريها منذ أواخر القرن الحادي عشر ، ظل علماء العرب والمسمون والدارسون يجتهدون حتى القرن الرابع عشر، حيث نجد انّ اواخر هذا القرن قد كلل باجتهادات احد عمالقة الفكر عبد الرحمن بن خلدون الذي وضع من خلال مقدمته القواعد الاساسية لدراسة المجتمعات وطبيعة العمران البشري، ودورة الحضارات ، فحقق بذلك قفزة طويلة الامد سبقت "بقرون عديدة فلاسفة التاريخ وعلماء الاجتماع و الأوروبي. "[41] وتجدر الاشارة الى أنّ الحضارة الاسلامية لم تستثن أي جانب من جوانب الفكر حيث مست الآداب والأخلاق والفلسفة والمنطق، كما كانت ذات تأثيرات خاصة في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية [42].

وفرضت افرازات الفتوحات العربية الإسلامية ضرورة الاطلاع على أحوال الناس في المناطق التي تم ضمها لاسباب انسانية وسياسية اعلى حد سواء. وبرز العرب في وضع المعاجم الجغرافية، كمعجم (البلدان) لياقوت الحموي. وكذلك إعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) مثل " مسالك الأمصار " لإبن فضل الله العمري، و" نهاية الأرب في فنون العرب " للنويري . وإلى جانب اهتمّام هذه الكتب الموسوعية بشؤون العمران، فقد تميّزت مادتها بالاعتماد على

[41] حسن فيهيم، مرجع سابق الذكر، ص 52.

[42] Darnell,1 opcit, p.259

المشاهدة والخبرة الشخصيّة، وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية .[43]

ونجد من خصص وميّز اهتماماته في التركيز على وصف إقليم واحد على غرار ما فعله الرحالة البيروني (362 – 440 ه) صاحب كتاب " تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة "، حيث وصف من خلاله خصائص المجتمع الهندي بما فيه من نظم دينية واجتماعية وأنماط ثقافية. واهتمّ أيضاً بمقارنة تلك النظم والسلوكيات الثقافية، بمثيلاتها عند اليونان والعرب والفرس. وكشف هذا المفكر دور الدين يلعب في تكبيل الحياة الهندية، وتوجيه سلوك الأفراد والجماعات، وصياغة القيم والمعتقدات.[44]

ولم تكن رحلات ابن بطوطة وكتاباته اقل اهمية، حيث ابرز وصفه الدقيق ايضا والكثيف للحياة اليومية للناس، وأنماط ممارساتهم وطبائع سلوكاتهم وقيمهم وتقاليدهم... وقدّم كتابا اصبح امن أشهرِ كتبِ الرِحلات في التاريخ؛ فقد عُرِفَابن بطوطة بكثرة اسْفاره، حتى اطلقت عليه جمعية كامبريج بامير الرحالة المسلمين. وكتب واصفا منطقة من السودان: "مدينة كبيرة ... وأهلها البجاة، وهم سود الألوان يلتحفون بملاحف صفراء، ويشدون على رؤوسهم عصائب يكون عرض العصابة اصبعاً وهم لا يورثون البنات. وطعامهم ألبان الإبل ويركبون المهاري، ويسمونها الصهب. وثلث المدينة للملك الناصر وثلثاها لملك البجاة، وهو يعرف بالحَدربي" بفتح الحاء المهمل وإسكان الدال وراء مفتوحة وباء موحدة وياء ... ولما وصلنا إلى عيذاب وجدنا الحدربي سلطان البجاة يحارب الأتراك، وقد خرق المراكب، وهرب الترك أمامه فتعذر سفرنا في البحر."[45]

---

[43] غزار الطاهر، **محاضرات في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، قسم ع. الاجتماع، جامعة جيجل، الموسم الجامعي 2019/2018، ص 30.

[44] حسين فهيم، مرجع سبق ذكره، ص 54.

[45] محمد بن عبد الله ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار احياء للعلوم،بيروت، 2014، ص 254

كما وصف ابن بطوطة البجة (الحدارية) بأنهم أهل نجدة وشجاعة، وقد تكررت مثل هذه الأوصاف في المصادر العربية، وبين تعاملهم الجيد مع التجار والمحافظة على سلامتهم وتأمين أموالهم. وكانوا يقومون بتأجير جمالهم للتجار وقت الحاجة، وقال: "من أفعالهم قلّة الظلم، فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه. ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاضب. ومنها عدم تعرّضهم لمال من يموت في بلادهم من البيضان (البيض والأجانب) ولو كان القناطير المقنطرة.[46]"

من جهته استحق كتاب ابن خلدون الموسوم بـ "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " المكانة العلمية الكبيرة التي نالها، إذ تعتبر مقدمته نموذجا للدقة العلمية في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال أفريقيا، ولا سيّما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، إلى جانب بعض المحاولات النظرية لتفسير كلّ ما رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة. وقد شكّلت موضوعات هذه المقدّمة – فيما بعد – اهتماماً رئيسياً في الدراسات الأنثروبولوجية اللاحقة.[47]

ومن أهمّ الموضوعات التي تناولها ابن خلدون في مقدّمته، والتي لها صلة باهتمامات الأنثروبولوجيا، هي تلك العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية. فقد ردّ ابن خلدون – استناداً إلى تلك الدعامة – اختلاف البشر في ألوانهم وأمزجتهم النفسيّة وصفاتهم الجسمية والخلَقية، إلى البيئة الجغرافية التي اعتبرها أيضاً عاملاً هاماً في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات الإنسانية. كما تناول ابن خلدون في مقدّمته أيضاً، مسألة قيام الدول وتطوّرها وأحوالها، وبلور نظرية (دورة العمران) بين البداوة والحضارة على أساس المماثلة بين حياة الجماعة البشرية وحياة الكائن الحي.[48] ويقول في ذلك : " إنّ أحوال العالم

---

[46] ابن بطوطة، 1968، ص 672

[47] Lenclud, Gérard. 1986. « En être ou ne pas en être. L'anthropologie sociale et les sociétés complexes », L'Homme, n° 97-98, pp. 143-151

[48] غزار الطاهر، مرجع سابق الذكر، ص 34.

والأمم وعوائدهم ونحلهم، لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقرّ، وإنّما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال. وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول. فعمر الدول عند ابن خلدون كعمر الكائن البشري، تبدأ بالولادة وتنمو إلى الشباب والنضج والكمال، ثمّ تكبر وتهرم وتتلاشى إلى الزوال.[49]

[49] Ibid

المحور الثّاني: أقسام الانثروبولوجيا

أولا: الانثروبولوجيا الفزيقية

1. ماهية الانثروبولوجيا الطبيعية

شهدت الانثروبولوجيا البيولوجية قدرا كبيرا من التخصصات فاق من شهدتها الفروع الاخرى لعلم الانثروبولويجيا سواء من ناحية نوعية المشكلات المبحوثة أو من ناحية الادوات الدقيقة المستخدمة في البحث أو درجة دقة الدراسات. تعتبر الانثروبولوجيا البيولوجية أو الفيزيائية مجال بحثي داخل الانثروبولوجيا يحاول أن يبحث في أصل الانسان وشكله من خلال سماته العضوية والتغيرات التي تطرأ عليها، وعن الاختلافات البيولوجية عند السالالت البشرية.[50] وتدرس الأنثروبولوجيا البيولوجية أو الفيزيائية الجوانب غير الثقافية لمجموعات البشر والمجتمعات التي يتواجدون فيها، بما في ذلك الخصائص البيولوجية الموروثة وغير المكتسبة، كما يدرس الباحثون في هذا التخصص أجزاء الجسم المختلفة من اجل الوصول الى المقارنات بين التركيبات والمورفولوجيات الجسمية لمختلف السلالات الإنسانية، مثل الهيكل العظمي، والعضلات ولون العينين، ولون البشرة، وشكل الرأسوالجمجمة، ولون ونوع الشعر ولونه وغيرها من الاعضاء الخارجية والأعضاء الداخلية.

كما يهتم هذا النّوع من الانثروبولوجيا بدراسة الكائنات القريبة من البشر كالقردة، بالإضافة إلى أحافير أسلاف البشر، لانّها ترتكز على التطور البشري. بمعنى انها ترتكز على دراسة التطور والوراثة الجينية، وطبيعة بنيتها الشكلية ووظيفتها البيولوجية وذلك قصد معرفة الأصول النوعية للسلالة البشرية من حيث تركيبهتا الجسدية وأصلها الطبيعي والبيولوجي.[51] على غرار ما قام به الباحث جوهان فردريك بلومنباخ **Johann Friedrich Blumenbach** الذي ركز في دراسته على شكل الجمجمة ولون الجلد والشعر وتكوين الجسم، واستعان في التحليل الوصفي للجماجم، وبعلم الأقيسة في قياس أبعاد وزوايا الجمجمة وغيرها من أعضاء الجسم التي تعطي صورة واضحة عن بيولوجيا الإنسان القديم ، استعانت

---

[50] مصطفى تيلوين، **مدخل عام في الانثروبولوجيا**، منشورات الاختلاف، ط1 ،بيروت،2811 ،ص 88.

[51] محمد سعيدي، **الأنثروبولوجيا، مفهومها وفروعها واتجاهاتها**، دار الخلدونية للنشر، الجزائر، 2013، ص47 .

الأنثروبولوجيا الفيزيقية بمجموعة من العلوم مثل علم البيولوجيا وعلم التشريح، والأجنة، وعلم العظام، علم الأنسجة... الخ.

كما يعتبر لويس دوبنتون Daubenton Louis وهو طبيب ومشارك للدكتور بوفون Buffon،اهتم بمورفولوجيا الجماجم ودرس بشكل خاص تنوع نقطة التقاطع jonction de point بين العمود الفقري والجمجمة تسمى نقطة التقاطع بالثقبة القذاليةحسب الانواع الحيوانية، ومن موقع العظم الخلفي الى حد ما، حدد دوبنتون Daubenton الزاوية ، نشرت أعماله عام 1119 م في كتابه مذكرة حول فرق وضعية الثقبة القذالية 24 القذالية.[52]

واستأنف بيير كامبر Camper Pierre أبحاث دوبنتون Daubenton وطبقها على مجموعة جماجمه الخاصة: جمجمة رجل أبيض، جمجمة كاملوك من روسيا 26، وبعد جهد توصل هذا األخير الى تطبيق جديد للهندسة على الجماجم، ما فعله كامبر (Camper(هو وضع الجمجمة في وضع أفقي ومقارنتها بالقردة العليا والقردة السفلى، وذهب الى أبعد من هذا بكثير وقارن بين جماجم بشرية) األوروبيين، كاملوك، زنوج(وجماجم القردة واستطاع أن يؤلف وفقا النخفاض زاوية الوجه سلسلة بشرية، كانت أعراقها السفلى مشابهة ألصناف وسالالت سلسلة القردة وبهذه الطريقة اكتسبت زاوية الوجه أهمية كبيرة على الفور.[53]

تعددت أسماؤها، فمن أنثروبولوجيا بيولوجية إلى أنثروبولوجيا فيزيقية وأنثروبولوجيا طبيعية ... غير أن الشائع في اللغة العربية هو اسم الأنثروبولوجيا الفيزيقية وهو ترجمة للتسمية اللاتنية **Anthropologie physique**. حيث يعرفها الأنثروبولوجيون بأنها العلم الذي يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية والتغيرات التي تطرأ عليه بفعل المورثات، كما يبحث في السلالات البشرية الإنسانية، من حيث الأنواع البشرية، وخصائصها، بمعزل عن ثقافة كل منها، هذا يعني أن الأنثروبولوجيا

[52] Carole Reynaud Paligot, *Anthropologie raciale et savoirs biologiques*, Art et Savoirs Laboratoire LISSA,France, 2020, p01.

[53] Paul Broca, Recherches sur la direction du trou occipital et sur les angles occipitaux basilaires, *Revue d'anthropologie,* Tome 02, C. Reinwald et C° Libraires éditeurs, Paris, 1873, p201.

العضوية تتركز حول دراسة الفرد البشري بوصفه نتاجا لعملية عضوية، ومن ثم دراسة التجمعات البشرية السكانية، وتحليل خصائصها.[54]

2 . فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية

هناك من يقسم الانثروبولوجيا البيولوجية إلى قسمين رئيسيين يختلفان في الادوات والظواهر المدروسة ولكنهاما يلتقيان في النتائج التي تصبح مترابطة بعضها البعض، هما: [55]

- قسم يهتم بدراسة الانسان كنتاج لعملية التّطوّر أو فرع الحفريات البشرية **Paleontologie:** وهو العلم الذي يدرس الجنس البشري منذ نشأته، ومن تم م ا رحله الأولية وتطوره، من خلال ما تدل عليه الحفريات والآثار المكتشفة أي أنه يتناول بالبحث نوعنا البشري واتجاهات تطوره، ولا سيما ما كان منها متصلا بالنواحي التي تكشفها الأحافير، من اجل استعادة ما نجهله عن مراحل حياة الإنسان البدائي، وذلك من خلال الحفريات التي تكشف عن بقاياه وآثارة وما خلفه .

- قسم يهتم بدراسة وتحليل الجماعات البشرية فرع الأجناس البشرية أو الأجسام البشرية Somatolagy: هو العلم الذي يدرس الصفات العضوية للإنسان البدائي والإنسان الحالي من حيث الملامح الأساسية والسمات العضوية العامة ولذا كرس علماء الأجسام معظم جهودهم لد ا رسة أصناف البشرية ورصد الفروقات بينهما ومحاولة معرفة الأسباب المحتملة لهذه الفروقات ويلاحظ أن اهتمامهم، نصب، إلى عهد قريب جدا، على تصنيف الأجناس البشرية المختلفة على أساس العرق وإيجاد العلاقات المحتملة بين هذه الأجناس.[56]

[54] محمد سعيدي، مرجع سابق الذكر، ص 48

[55] الجوهري محمد، شكري علياء، مرجع سابق الذكر ، ص 26.

[56] Carole Reynaud Paligot, Op. Cite, p88

ثانيا: الانثروبولوجيا الاجتماعية

1. ماهية الانثروبولوجيا الاجتماعية:

تعرّف الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنّها "دراسة السلوك الاجتماعي الذي يتّخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، ونسق القرابة، والتنظيم السياسي، والإجراءات القانونية، والعبادات الدينية، وغيرها. كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية، التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع، يمكن معها ا لقيام بمثل هذه الدراسات.[57] يدرس هذا الفرع في وجوده الاجتماعي ونظام دلك من السلوك والعلاقات ويصف ويحلل ما يبني المجتمع على مستوى الأفراد وكذلك على مستوى المؤسسات كما يهتم بتطور المجتمعات عبر سيروراتها التاريخية ويقارن المجتمهات ببعضها البعض، والهدف من ذلك الوصول إلى تجديد قوانين، وأنماط السلوك، والنظام الاجتماعي...

جدير بالذّكر أن مصطلح اثنولوجيا يعني في بدايات استخدامه هذا الفرع لا سيما لدى الانجليز الذين يعتبرون الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي العلم الجامع والشامل، وأما باقي الفروع مشتقة منها أو مندرجة ضمنها على عكس الأمريكيين الدين يرون بأنها فرع من فروع الأنثروبولوجيا الثقافية.[58] وتعرف الأنثروبولوجيا الاجتماعية أيضا بأنها دراسة السلوك الاجتماعي الدي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، وتصف الق ا ربة والتنظيم السياسي والاجراءات القانونية والعبادات الدينية وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية التي لا يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة، يمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات والنّظام الاجتماعي هو التّغيير التقني الأنثروبولوجيا الذي يدل على المظهر الأساسي في حياة الجماعة الإنسانية، وهو يشمل النظم التي تؤلف إطار لأنواع السلوك جميعا، سواء كان فرديا أو اجتماعيا.

---

[57] عيسى السماش، **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004، ص 114

[58] شاكر مصطفى سليم ، **قاموس الأنثروبولوجيا عربي – انجلبزي**، جامعة الكويت، 1981 ، ص 893 .

أنّ الهدف من دراسات وبحوث الأنثروبولوجيا الاجتماعية هو "تحديد العلاقات المتبادلة بين هذه النظم، سواء في المجتمعات القديمة التي تدرس من خلال آثارها المادية والفكرية، أو في المجتمعات الحديثة والمعاصرة، التي تدرس من خلال الملاحظة المباشرة لمنجزاتها وتفاعلاتها الخاصة والعامة."[59]

2. نشأة الأنثروبولوجيا الاجتماعية وتطورها

مهد علماء القرن الثامن عشر فلاسفته بشكل أساسي لظهور علم دراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وذلك نتيجة لاهتمامهم بالنظم الاجتماعية من جهة واعتبارهم المجتمعات الإنسانية انساقا طبيعية، في إطار الطبيعة البشرية ومن الباحثين في هذا الحقل نجد الباحث مونتسكيو صاحب مؤلف "روح القوانين"، حيث درس فيه نظم المجتمع البشري، وكشف انّ لا نستطيع فهم القوانين لدى مختلف الشعوب إلا إذا من العلاقات التي تسود وحكم النظام بما فيها البيئات المحيطة الاقتصادية والسياسية..، ونوع السكان والمعتقدات وومنظومة الأخلاق، حيث ميز بين البناء الاجتماعي والنظام القيمي وأوضح أن المجتمع ذاته وما يحيط به يتكون من نظم يرتبط بعضها البعض ارتباطا وظيفيا.[60] ويمكننا أن نرد جذور الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى الأفكار النظرية التي سادت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والتي حملت كل عناصر ومكونات النظرية الأنثروبولوجية في القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين . يوعرف علم ا انثروبولوجيا على انه علم مستقل ابتداء من النصف الثاني من القرن 19 بفض العديد من الإسهامات والكتب التي بحثت في هذا الحقل العلمي مثل ما قدمه "تايلور "و"ماكلينان " في انجلتتر او"بافوفين "في سويسرا، حيث اهتم هؤلاء بجمع المعلومات عن الشعوب البدائية . و ارتكزت الدّراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية سابقا علىالبحوث في المجتمعات البدائية، لكن منذ الحرب العالمية الثانية أخذت تدرس المجتمعات الريفية والحضرية في الدّول النّامية والمتقدمة فتدرس البناء الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية، والنظم الاجتماعية مثل العائلة، والعشيرة والقرابة والزواج والطبقات

[59] عيسى السماش، مرجع سبق ذكره، ص 115.

[60] شاكر مصطفى سليم، نفس المرجع، ص 15

والطوائف الاجتماعية والنظم الاقتصادية كالإنتاج والتوزيع والاستهلاك والمقايضة والنقود والنظم السياسية كالقوانين والعقوبات والسلطة والحكومة والنظم والعقائدية كالسحر والدين، كما تدرس النسق الايكولوجي[61].

ووصلت الانثروبولوجيا الاجتماعية خلال القرن العشرين مرحلة التخصص بعدما اعتمدت على البحث في البني الإجتماعية للمجتمعات ولاسيما القديمة منها، فزدات البحوث الميدانية مثل بحث" مالينوفسكي" في جزر نزوبرياند الذي يعتبر أول بحث انثروبولوجي يتمكن من فهم حياة الناس وعلاقتهم الاجتماعية من خلال تتبع عاداتهم وتقاليدهم وتحليل مدلولاتها الاجتماعية. وفي الربع الثاني من القرن 20 أصبحت للأنثروبولوجيا فروعا مستقلة تدرس في الجامعات الأوربية، لا سيما في الجامعات البريطانية، حيث انتشر منهج تطبيق الدراسات الميدانية الكثيرة والمتعددة.

إنّ التغيرات الحالية التي تعرفها المجتمعات البشرية على مستوى النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التكنولوجية، من شأنها أن تدفع الباحثين في حقلي علم الاجتماع ا ولأنتربولوجيا إلى التركيز في دراساتهم على مجموعة من القضايا الاجتماعية القديمة والحديثة ذات الارتباط الوثيق بالمعيش اليومي للأفراد و المجموعات البشرية، كما هو الشأن بالنسبة لقضية الهوية الجنسية، أو ما يطلق عليه اصطلاحا بالهوية الرجولية والهوية الأنثوية....

واصبحت الانثروبولوجيا تعرف حسب مارك اوجي على انها الفكرة التي يصنعها الاخرون عن العلاقة بين بعضهم البعض، وليس عن المجتمعات البعيدة والمختلفة كما كان من ذي قبل، وهي نتيجة حتمية لوتيرة السرعة في الاتصال التي يشهدها المجتمع الانساني، فالفرد لم يعد بعيدا، واصبح يعلم انه ينتمي الى عالم اوسع وليس فقط الى عالم مجتمعه الذي يتواجد فيه، ويظن ان حدود العالم تتوقف عندها.[62]

---

[61] شاكر مصطفى سليم ، **المدخل إلى الأنثروبولوجيا**، مطبعة العايني، الكويت، 1975 ، ص60

[62] اوجي، مارك: **"انثروبولوجيا العوالم المعاصرة**، ترجمة طواهري ميلود، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 8.

أما ناحية منهج البحث فاننا نجد أن الأنثروبولوجيا قد اثارت منذ نشأتها "جد لًا علميًّا وأخلاقيًّا واسعًا، حيث خضعت و لا زالت للتقويم الأخلاقيّ،"[63] اذنذكر ان الأبحاث الأنثروبولوجيّة اتهمت على انها العلم الذي مهد لحملة الاستعمار على الاخر ، وأُدرجت نتائج ابحاثها في إطار خدمة الاستعمار ايضا بشكل جعلها ضدّ مصالح الجماعات المبحوثة، كما اتهامات بالعنصرية لانها تتكئ على في أدبيّاتها على عملية تصنيف الشعوب «البدائيّة» والمجتمعات والشعوب المدروسة، تأثّرًا بالمفاهيم «التطوّريّة » السائدة في القرنين السابع عشر والثامن عشر. ورغم انها حاولت تخطّي هذه المعضلات الأخلاقيّة التي وسمت نشأتها وعبّرت عن أزمة فعليّة تمرّ بها، وبدأت با لانتقال إلى فهم جديد ومقاربات جديدة مع تراكم الأبحاث العلميّة وظهور المدارس وا لاتجاهات النظريّة المختلفة.

و"توصف الأنثروبولوجيا أنّها من أخطر العلوم، وذلك لقدرة الباحث في الأنثروبولوجيا على الفهم المعمّق للوقائع المجتمعيّة، في المجتمعات المدروسة، عبر اعتماده على مفاهيم نظريّة ترشده إلى هذا الفهم، كما إتقانه القيام بالعمل الحقليّ." [64] كما "تعدّ الأنثروبولوجيا أو علم دراسة الإنسان من المباحث الساخنة في الساحة الفكريّة حالياً، بحيث حلَّت محل الفلسفة وأصبحت هي التيّار الغالب في الأندية الفكريّة الغربيّة. وهذه النظريّة كسائر النظريّات والعلوم قد تسرّبت إلى العالم الإسلاميّ والعربيّ شيئًا فشيئًا، وأصبح لها روّاد ومتابعون، وتمّ تطبيقها في قراءة التراث والظاهرة الدينيّة؛ وعليه مسّت الحاجة إلى التعرُّف على الأنثروبولوجيا عل اً ومنهجًا." [65]

[63] مجموعة من المؤلفين: "**الانثروبولوجيا: قراءة تحليلية نقدية في سياقاتها التاريخية مناهدها نظرياتها**"، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، 2023، ص 54.

[64] مجموعة من المؤلفين، المرجع السابق، ص 46.

[65] نفس المرجع، ص 37.

3. موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

تهدف هذه الأنثروبولوجيا إلى دراسة الأنظمة الاجتماعية كما سبقت الاشارة في المحور السابق على غرار مثل البناء الاجتماعي، العائلة والاسرة وصلات القرابة، نظام الزواج، النظام الاقتصادي والنظام السياسي والقانوني.... وانطلق هذا التخصص خلال خطواته الاولى من دراسة المجتمعات البيدائية، ثمّ راح يدرس في العصر الحديث مناطق من الريف واخرى من المدينة، وكل العلاقات الاجتماعية التي تسودهما.[66] ومنذ عصور ما قبل الميلاد ساهمت الحروب والرّحلات في اكتساب معرفة الشّعوب والثّقافات ببعضها؛ إذ أتاحت ا لاحتكاك فيما بينها، وتشكيل الصّور عن بعضها، وتوثيق ذلك أحيانًا.

كان الاختلاف بين ثقافة الذّات/ المحلية (الاوروبية) «ثقافة الآخر الغريب غير الاوروبي مثيرًا للدّهشة والفضول لدى الباحثين وتحديديا الرحالة والمستكشفين والمستشرقين. وتميّزت الكتابات حول هذا الآخر خلال فترة العصور الوسطى، بتني الخيال أكثر من المشاهدة او الملاحظة، كما اتّسمت النّظرة إلى الشّعوب الأخرى غير الاوروبية با لازدراء ، ولوحظ وجود مقولة «نحن والبرابرة » التي كانت متداولة في العصور القديمة، والتي أطلقها اليونانيّون على الشّعوب الأخربغير اليونانية، بمقولة نحن والمشركون/ يعني المبحوثون.[67]

إن اختيار الإنجليز مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية يرجع أساسا إلى تركيزهم على دراسة المجتمع إلى حد أن اعتبر الفريد رادكليف براون Radcliff-brown الأنثروبولوجيا الاجتماعية ثابة علم اجتماع مقارن، ومن هذا المنطلق تتخصص الأنثروبولوجيا الاجتماعية. في دراسة البناء الاجتماعي والوظيفية، وهي متأثرة في ذلك بالإتجاه التجريبي عامة، وبأفكار المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع. خاصة تلك التي تحتوي على تأملات ومشاهدات (نظريات) عن دور الفرد في المجتمع . وينظر الإنجليز إلى الأثنولوجيا (أو الأنثروبولوجيا

[66] Fabre, Daniel , op.cite, p 24.

[67] مجموعة من المؤلفين، مرجع سابق الذكر، ص 20.

الثقافية) على أنها تدرس الثقافة دراسة وصفية ذات اتجاه تاريخي. و مزيد من ا لمعلومات عن الخلفية التاريخية والمنطلق النظري وا منهجي لتلك التسميات.[68]

اتّبع الانثروبولوجيون خلال القرن التّاسع عشر نظريّتين رئيسيّتين في دراساتهم نظريّة التّطوّر، والانتشار، حيث دفعت النّظريّة الاولى عقلية المركزيّة الحضاريّة الأوروبيّة علماء وباحثي الأنثروبولوجيا حينها إلى دراسة المجتمعات المتوحّشة، أو المجتمات التي اعتُبرت بدائيّة بالنّسبة إلى المجتمع الغربيّ حسب أصحاب تلك الرّؤية، كوسيلة لفهم الأصول البدائيّة للحضارة الأوروبيّة دون مراعاة الخصوصيّات الثّقافيّة للمجتمعات المبحوثة أو المشاركة في البحث، وذلك بهدف الكشف عن تطوّر المجتمعات .

بالمقابل نجد أنّ افتراضات ومبادئ النّظريّة ا لانتشاريّة تتعارض مع الرّؤية التّطوّريّة ؛ إذ يعتقد «أصحابها أنّ جميع المجتمعات نشأت جراء مجموعة من الدّوائر الثّقافيّة التي تنشر سمات ثقافيّة في جميع أنحاء العالم. ويمكن تحديد حجم الدّائرة الثّقافيّة، التي انتشرت منها سمة ثقافيّة من خلال تحليل ومقارنة السّمات الثّقافيّة للمجتمع. لكن تتّفق الرؤيتان الانتشارية والتطورية على على حد سواء على فكرة امكانية مقارنة جميع الثّقافات مع بعضها وتصنيفها، بعيدا عن الخصوصيّة الثّقافيّة لكل مجتمع .[69]

وأما عن المفاهيم التي يتبناها هذا النوع من الانثروبولوجيا فنجد مفهوم البناء الاجتماعي، الذي يعني التفكير في المجتمع كنكوين منظم لاجزاء متعددة (الزواج، الاسرة، القرابة...النظام القانوني، السياسي...، وأنّ الهدف الاسمى للانثروبولوجي هو تفسير هذا النظام بعد معايشته واكتشافه. كما يشير مفهوم المكانة إلى مكز الفرد مقارنة بمكز الاخر ين ممن تربطه علاقات اجتماعية معهم، ولامكانة تدّل دائما على هذه العلاقة معهم كالجد، والزوج، والاخ، والتاجر... في حين نجد مفهوم الدور يحدد

[68] حين فهيم، مرجع سابق الذكر، ص 30
[69] مجموعة من المؤلفين، مرجع سابق الذكر، ص 50.

وظائف ومسؤوليات الافراد في المجتمع، وفي الجماعة التي تعني مجموعة مشتركة في المعايير والقواعد والمصالح...[70]

ثالثا: الانثروبولوجيا الثقافية

[70] الجوهري محمد، شكري علياء، مرجع سابق الذكر ، صص 33-34.

1. ماهية الأنثروبولوجيا الثقافية

هي فرع من علم الأنثروبولوجيا، يضطلع بدراسة مختلف ثقافات الإنسان، فالإنسان على حدّ قول الباحث الانجليزي مالينوفسكي B. Malinowski هو كائن له شكله الفيزيقي، وتراثه الاجتماعي، وسماته الثقافية... وهذا التراث أو تلك الثقافة، هو المجال الرئيسي لاهتمامات دراسات الأنثروبولوجيا الثقافية.[71] من خلال هذا الطرح يمكن القول انّ الإنسان كائن ثقافي، حامل للثقافة، يعيش في كنفها... تحافظِ عليه ويحافِظ عليها، كماَ أنهّ ناقل لها عبر الأجيال المختلفة وهو ما يعطيها خاصية الاستمرارية، ونظرا لأن هذا الفرع يهتمّ بالثقافة وبالسلوك الإنساني في اطار سياقه الثقافي، فهو يهتم بماضي الإنسَان وحاضره ايضا.

وتعرفّ الأنثروبولوجيا الثقافية بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معينّة، وعلى هذا الإنسان أن يمارس سلوكا يتوافق مع سلوك الأفراد في المجتمع المحيط به، يتحلىّ بقيمه وعاداته، ويدين بنظامه، ويتحدّث بلغة قومه. وعليه، فإنّ علم الانثروبولوجيا الثقافية هو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان، وسلوكاته النابعة من ثقافته، وهي تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة.[72]

كما يهدف هذا الفرع العلمي إلى فهم الظاهرة الثقافية كما هي في الواقع، وتحديد عناصرها، كما يهدف إلى دراسة عمليات التغيير الثقافي والتمازج الثقافي، وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات، ويفسّر بالتالي المراحل التطوّرية لثقافة معينّة في مجتمع معينّ. ولهذا استطاع علماء الأنثروبولوجيا الثقافية أن ينجحوا في دراساتهم التي أجروها على حياة الإنسان، سواء ما اعتمد منها على التراث المكتوب للإنسان القديم وتحليل آثارها، أو ما كان منها يتعلقّ بالإنسان المعاصر ضمن إطاره الاجتماعي المعاش.

---

[71] حين فهيم، مرجع سابق الذكر، ص 40.

[72] Menget, Patrick, opcit, p 60

إنّ دراسة الوسط الثقافي، تكشف عن الآلية السيكولوجية التي توجّه سلوك الفرد، وتصرف النزعة العدوانية في مجالات تنفيس مهذّب، والمثال على ذلك في بعض النظم الاجتماعية. كما في طقوس الآبو Apo التي تمارسها قبائل الآشانتي Ashanti في ساحل الذهب في أفريقيا الغربية. ففي احتفالات الآبو، لابدّ أن يسمع أصحاب السّلطة، السّخرية واللوّم واللعّنات من رعاياهم بسبب المظالم التي ارتكبوها، ويعتقد رجال الآشانتي أنّ في هذا ضمانة لكي لا تتعذّب أرواح الحكام بسبب كبت استياء الغاضبين، ولولا ذلك، لأفضى تراكم الاستياء وتعاظم قوّته، إلى إضعاف سلطة الحكام، بل وإلى قتلهم. ولا تتطلبّ فعالية هذه الآلية الفرويدية الجوهر في التنفيس عن الكبت أيَّ إيضاح، فهي تلقي ضوءً أكبر على ما تقوم به من أشكال السّلوك المنظّمة في نظم اجتماعية، من تصحيح لاختلال التوازن في نمو شخصيات الأفراد الذين تشملهم. ويمكن تقسيم دراسات وبحوث الأنثروبولوجيا الثقافية إلى نوعين[73]:

- **الدراسات المتزامنة:** يقوم الباحث بدراسة المجتمعات والثقافات المكونة لها في نقطة زمنية محدّدة ومعيّنة أو في زمن واحد.
- **الدراسات التتبعية** (التاريخية): وهو دراسة المجتمعات والثقافات عبر مراحل التاريخ. ومن الواضح أن علم الآثار يكرس نفسه للدراسات التتبعية، حيث يركز في الأساس على المجتمعات والثقافات القديمة، وكذلك على المراحل الغابرة من الحضارات الحديثة، وهو يحاول إعادة رسم صورة الأشكال الثقافية الماضية، وتتبع أثرها وتطورها عبر الزمان.

[73] Mary, André,opcit, p 70

2. أقسام الانثروبولوجيا الثقافية

على الرغم من تعدّد العناصر الثقافية، وتداخل مضامينها وتفاعلها في النسيج العام لبنية المجتمع الإنساني، فقد اتّفق الأنثروبولوجيون على تقسيم الأنثروبولوجيا الثقافية إلى ثلاثة أقسام أساسيّة هي:

أ. علم اللغات Linguistic: هو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية، المنقرضة والحيّة، ولا سيّما المكتوبة منها في السجلاّت التاريخية كاللاتينية أو اليونانية القديمة، واللغات الحيّة المستخدمة في الوقت كالعربية والفرنسية والإنكليزية. ويهتمّ دارسو اللغات بالرموز اللغوية المستعملة، إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما، والجوانب الأخرى من ثقافته، باعتبار اللغة وعاء ناقلاً للثقافة.[74]

يدرس علماء الأنثروبولوجيا، اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي، في المكان والزمان. ويقوم بعضهم باستنتاجات تتعلّق بالمقوّمات العامة للغة وربطها بالتماثلات الموجودة في الدماغ الإنساني. ويقوم آخرون بإعادة بناء اللغات القديمة من خلال مقارنتها بالمتحدّرات عنها في الوقت الحاضر، ويحصلون من ذلك على اكتشافات تاريخية عن اللغة. ولذلك،[75] يعطي "ليفي ستروس" Claude Lévi-Strauss أهميّة بالغة للغة ويعتبرها أحد الأركان الأساسية في علم الإنسان، إن لم تكن حجر الزاوية في ذلك العلم، وعلى أساس أنّ اللغة هي الخاصية الرئيسة التي تميّز الإنسان عن الكائنات الحيّة الأخرى. ولذلك، يعتبرها الظاهرة الثقافية الأساسية التي يمكن عن طريقها، فهم كلّ صور الحياة الاجتماعية.[76]

وعلى الرغم من أنّ علماء اللغة لم يتمكّنوا من تحديد أسبقية لغة على أخرى، فقد توصّلوا من خلال دراساتهم إلى تصنيف اللغات المختلفة بحسب طبيعتها واستخدامها، في ثلاثة أقسام هي : اللغات المنعزلة التي تتخاطب بها فئات منعزلة عن الفئات الأخرى، ولا تفهمها إلاّ تلك الفئات المتحدّثة بها.

---

[74] اسماعيل، مصطفى فاروق، "الانثروبولوجيا الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1980، ص 40.

[75] نفس المرجع، ص 41

[76] Meillassoux, opcit, p 67

ثمّ اللغات الملتصقة وهي اللغات التي تتخاطب بها شعوب كبيرة، ولكنّها ملتصقة بهم وبتراثهم. وهي لغات معروفة ولا توج فيها قواعد، مثل: اللغة الصينيّة، اللغات ذات القواعد (النّحو والصّرف) وهي اللغات الحديثة التي تستخدمها الأمم المتحضّرة، لها قواعد نحوية وصرفية، تضبط جملها وقوالبها اللغوية، مثل : اللغة العربية، واللغات الفرنسية...[77]

ب. علم الآثار Archeology: يعنى بشكل خاص بجمع الآثار والمخلّفات البشرية وتحليلها، بحيث يستدلّ منها على التسلسل التاريخي للأجناس البشرية، في تلك الفترة التي لم تكن فيها كتابة، وليس ثمّة وثائق مدوّنة (مكتوبة) عنها . ويبحث هذا الفرع من علم الأنثروبولوجيا الثقافية، في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية، ولا سيّما الثقافات المنقرضة.[78]

وعلى الرغم من أنّ الهدف الأوّل من هذه الأبحاث، هو الحصول على معلومات عن الشعوب القديمة، إلاّ أنّ الهدف النهائي يتمثّل في مساعدة القرّاء والدارسين، في تفهّم العمليات المتّصلة بنمو الثقافات أو (الحضارات) وازدهارها أو انهيارها، وبالتالي إدراك العوامل المسؤولة عن تلك التغيّرات ويمكن القول – بوجه عام- إنّ علماء الآثار القديمة، يحاولون اكتشاف ذلك الجزء من التاريخ الماضي الذي لا تتعرّض له السجلاّت المكتوبة. ويقبل عالم الآثار القديمة على ميدان اختصاصه بحماسة، لأنّ عمله يقترن بمجموعة من الدوافع والمثيرات المغرية، كالرغبة في إجراء أبحاث علمية شائقة، واحتمال العثور على كنوز ثمينة .

ت. الاثنوغرافيا Ethnography: تطلق مصطلح الاثنوغرافيا على كل الدّراسات التي تصب في اطار الانثروبولوجية الثقافية، والتي تقتصر على وصف الظاهرة الثقافية.[79] وعرفت الاثنوغرافيا ازدهارا

---

[77] اسماعيل، مصطفى فاروق، مرجع سابق الذكر، ص 43.

[78] Amselle, Jean-Loup : *Au cœur de l'ethnie: ethnie, tribalisme et État en Afrique.* La Découverte, Paris,1985, p 45

[79] Ibid, p 80

كبيرا بعد سنة 1917 خاصة عندما سخّرت الدولة الاشتراكية امكانيات اجراء هذا النوع من الدّراسات والتي تخدم مصالحها وتوجهاتها، وتم انشاء معهدا للاثنوغرافيا في اطار أكاديمية علوم الاتحاد السوفياتي، وتأسست مجلة الموسومة بـ "الاثنوغرافيا"، وفي سنة 1923 شهدت ادخال فكرة الاثنية للدلالة على ما تصوّره الثقافة من جهة والشأن الاثني من جهة أخرى والذي حصر في الاثنية اليهودية. وأما في فرنسا فكانت البحوث تستخدم بلا تمييز عبارتي "اثنوغرافيا" أو "اثنولوجيا" إلى غاية الحرب العالمية الثانية، للإشارة إلى علم واحد يدرس المجتمعات البدائية.[80]

عندما كان يتم التمييز بينهما، كان من المتفق عليه اعتبار مهمة الاثنوغرافيا جمع المواد التي تحللها الاثنولوجيا. ثمّ تم نشر كتابان بعد الحرب أحدهما للمفكر مارسال موس الموسوم بـ "كتيب الاثنوغرافيا" (1947) والثاني للباحث "غرويل" بعنوان "المنهج الاثنوغرافي" (1957). ولما نقل الباحث "ليفي سروس" (1958) عبارة "انثروبولوجيا" من الو.م.أ إلى فرنسا، فرض على الاثنوغرافيا مهمة جمع المعطيات، وعلى الاثنولوجيا مهمة تحضير مادتها على صعيد المجتمعات الخاصة، ولعى الانثروبولوجيا مهمة اجراء التحليل المقارن للمجنمعات والثقافات وتغذية التأمل النّظري.[81] والشكل الموالي يختزل هذه المهام الموكلة للتخصصات الثلاثة :

[80] Ibid, p 79

[81] Chiva, Isac & Jeggle : *Ethnologies en miroir : La France et les pays de langue allemande*, Maison des Sciences de l'Homme,Paris, 1987, p 41

الشكل رقم 1 يبيّن مهام الاثنوغرافيا والاثنولوجيا والانثروبولوجيا بمنظر "ليفي ستروس"

ث. علم الثقافات المقارن الأثنولوجيا Ethnology: تعتبر الأثنولوجيا من أقرب العلوم إلى طبيعة الأنثروبولوجيا، بالنظر إلى التداخل الكبير فيما بينهما من حيث دراسة الشعوب وتصنيفها على أساس خصائصها، وميزاتها السلالية والثقافية والاقتصادية، بما في ذلك من عادات ومعتقدات، وأنواع المساكن والملابس، والمثل السائدة لدى هذه الشعوب.وتعتمد الأثنولوجيا في تفسير توزيع الشعوب – في الماضي والحاضر – على أنّه نتيجة لتحرّك هذه الشعوب واختلاطها، وانتشار الثقافات التي ترجع إلى كثرة الحوادث المعقّدة، التي بدأت مع ظهور الإنسان منذ ملايين من السنين. ويبحث علم الأثنولوجيا في طرائق حياة المجتمعات التي لا تزال موجودة في عصرنا الحاضر، أو المجتمعات التي يعود تاريخ انقراضها إلى عهد قريب، وتتوافر لدينا عنه سجلاّت تكاد تكون كاملة. فلكلّ مجتمع طريقته الخاصة في الحياة، وهي التي يطلق عليها العلماء الأنثروبولوجيون مصطلح " الثقافة ". ويعدّ مفهوم الثقافة من أهمّ الأدوات التي يتعامل معها الباحث الأثنولوجي.[82]

ومن ميزات الأثنولوجيا، أنّها تعتمد عمليتي التحليل والمقارنة ، فتكون عملية التحليل في دراسة ثقافة واحدة، بينما تكون عملية المقارنة في دراسة ثقافتين أو أكثر. وتدرس الأثنولوجيا الثقافات الحيّة (المعاصرة) والتي يمكن التعرّف إليها بالعيش بين أهلها، كما تدرس الثقافات المنقرضة البائدة بواسطة

[82] Chiva, Isac & Jeggle, ibid, p 56

مخلّفاتها الأثرية المكتوبة والوثائق المدوّنة. وتهتمّ إلى جانب ذلك، بدراسة ظاهرة التغيير الثقافي من خلال البحث في تاريخ الثقافات وتطوّرها .

من المفيد الاشارة إلى أننا أننا سبق وان وتطرقنا إلى تحديد مفهوم الاأثنوغرافيا الاثنولوجيا في المحور الاول، حيث قلنا انّ الأثنوغرافيا يطلق على الدراسة التي تعمد إلى وصف ثقافة ما في مجتمع معيّن، بينما يطلق مصطلح أثنولوجيا على الدراسات التي تجمع بين الوصف والمقارنة. فالأثنولوجي يهدف من تلك المقارنات الوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية، ولظاهرة التغيير الثقافي وآثار الاتصال بين الثقافات المختلفة، كما يهدف الأثنولوجي أيضاً إلى تصنيف الثقافات ضمن مجموعات أو أشكال، على أساس مقاييس معايير معيّنة. وعموماً فإذا كان القول بأنّ الأثنولوجيا تدرس الظواهر الثقافية دراسة رأسية، أي دراسة مقارنة زمانية تاريخية لثقافات الماضي، مع متابعة دراسة تلك الثقافات وتطوّرها ومقارنتها عبر التاريخ، فإنّ الأثنوغرافيا تدرس الظواهر الثقافية دراسة أفقية محدّدة المكان، وهكذا تكون الأثنولوجيا دراسة مقارنة في الزمان، بينما تكون الأثنوغرافيا دراسة مقارنة في المكان.

3. مراحل تطوّر علم الانثروبولوجية الثقافية

نشير في البداية إلى أنّ الانثروبولوجيا الثقافية موضوعها الاساسي في البحث العلمي هو الثقافة، ورغم الاختلاف في تعريف هذا المفهوم الا ان اهم تعريف متفق عليه ال يومنا هذا هو التعريف الذي وضعه الباحث الانجليزي "تايلور" Tylor في كتابه «الثقافة البدائية» (كما سبقت الاشارة سابقا)، والذي أكد فيه أنّ "الثّقافة هي ذلك الكلّ المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع". وقد مر علم الانثروبولوجيا الثقافية بالعديد من المراحل اهمها:

أ. مرحلة الميلاد (1871-1900):[83] ترتبط نشأة الانثروبولوجيا الثقافية بظهور أوّل مفهوم واضح لمصطلح الثقافة سنة 1871 م على يد الباحث البريطاني "ادوارد بيرنت تايلور" Edward Burnett Tylor من خلال كتابه الموسوم بـ "الثقافية البدائية"، حيث قدّم تعريفا لا يزال صالحا إلى يومنا هذا على الرغم من مرور قرابة قرن ونصف (149) سنة على سنة ظهور هذا المصطلح. سّدت أفكار تايلور مذهب التطور الثقافي في القرن التاسع عشر. من خلال أعماله «الثقافة البدائية» في عام 1871 و«الأنثروبولوجيا» في عام 1881، عرّف محتوى الدراسات العلمية لعلم الأنثروبولوجيا، استنادًا إلى النظريات التطورية للباحث "تشارلز لايل" Charles Lyell.[84]

ويعتبر اليوم هذا العالم الانجليزي مؤسسا لعلم الأنثربولوجيا الثقافية، فنتيجة لضعف صحته وتبعا لنصيحة الاطباء؛ سافر إلي المكسيك لقضاء بعض الوقت هناك لاجتناب برودة الجو في لندن. وخلال رحلته الي هذه المنطقة؛ تعرف علي أحد علماء الأجناس ويدعي "هنري كريستي" Henry Christy الذي

[83] Fabre, Daniel, p 69

[84] ibid, p 54.

أشعل فيه عشق دراسة الحضارات البدائية. وكان يؤمن بوجود مبادئ وظيفية لتطور المجتمع والدين.[85]

وأكد تايلور اجتياز جميع المجتمعات لثلاث مراحل أساسية من التطور: ابتداءً بالهمجيّة إلى البربريّة وانتهاءً بالحضارة. يُعتَبر تايلور شخصيةً مؤسِّسة لعلم الأنثروبولوجيا الثقافي، وساعدت أعماله العلمية في بناء نظام علم الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر، إذ كان يعتقد أنّ الدراسات التي تبحث في تاريخ الإنسان الحالي بالإضافة إلى عصور ما قبل التاريخ، يمكن استخدامها كأساس لإصلاح المجتمع الإنجليزي.

ولاحقا ظهر في حقل هذا العلم (الانثروبولوجيا الثقافية) رواد كثيرون في كل من الو.م.أ على غرار الباحثين "باندلير Bandler و"فليتشر"Fletcher ، وكذا في بريطانيا بالاضافة إلى الباحث "تايلور" نجد هناك كل من "السير هنري مين"Sir Henry James Maine و"بت ريفرز" Bet Rivers و"روبرتسون سميث Robertson Smith، و"السير جيمس فريزر"Sir James George Frazer r. اما في المانيا فقد لمع في هذا المجال الباحث "يوهان جاكوب باخوفين" Johann Jakob Bachofen، وفي فرنسا "فوستيل دي كولانج" Fustel de Coulanges و"دي فولزيه" Defalosse.[86]

وتشهد هذه المرحلة ايضا اسهامات الانثروبولوجي الامريكي "فرانز بواس"Franz Boas، حيث أسس بدايات الاتجاه الانتشاري، وفيه يرتكز على الاتجاه الجغرافي التاريخي، إذ اهتم ومدرسته الامريكية بدراسة ثقافات المناطق الصغيرة كالعشائر والقبائل، في اطار الاقليم الثقافي الذي تنتمي اليه لإعادة بناء تاريخ الثقافة. كما اهتم ايضا بالمقارنة بين ثقافات هذه المناطق الصغيرة بغية الوصول إلى القوانين التي تحكم تطوّر الثقافة وتاريخاها وانتشارها.

---

[85] Ibid, p 34

[86] De Gerando Joseph-Marie, *Considération sur les méthodes à suivre dans l'observation des peuples sauvages*, 1799. p 25.

وتجدر الاشارة أن الباحث "بواس" قد كان واحداً من أبرز المناهضين لإيديولوجيات العنصرية العلمية التي كانت تحظى بشعبية آنذاك، وهي تقول إن العرق مفهوم بيولوجي وإن السلوك البشري يمكن فهمه على النحو الأفضل من خلال نمذجة الخصائص البيولوجية. وقد أظهر من خلال سلسلة دراسات رائدة أجراها على بنية الهيكل العظمي التشريحية أن شكل الجمجمة، وحجمها مطاوعان بشدة للعوامل البيئية مثل الصحة والتغذية. على النقيض من ادعاءات علماء الأنثروبولوجيا العرقية آنذاك الذين كانوا يعتبرون شكل الرأس سمة عرقية ثابتة.

وعمل بهذا الباحث كذلك في سبيل برهنة أن الفروق في السلوك البشري لا تُحدَّد في المقام الأول من خلال الترتيبات البيولوجية الفطرية بل هي في معظمها نتيجة للاختلافات الثقافية المكتسبة عن طريق التعلم الاجتماعي. وبهذه الطريقة، قدّم الثقافة بصفتها المفهوم الأولي لوصف الفروق السلوكية بين الجماعات البشرية، والمفهوم التحليلي المركزي. كما قدّم بواس إيديولوجية "النسبية الثقافية"، التي تنص على عدم إمكانية تصنيف الثقافات موضوعياً بوصفها أعلى أو أدنى، أو أفضل أو أصحّ، لأن كلّ البشر يرون العالم من عيون ثقافتهم الخاصة، ويحكمون عليه وفقاً للمعايير التي اكتسبوها من ثقافتهم.[87]

وبالنسبة إلى "بواس"، كان هدف الأنثروبولوجيا هو فهم الطريقة التي تكيّف فيها الثقافة البشرَ على فهم العالم والتفاعل معه بطرائق مختلفة، ومن الضروري من أجل التوصل إلى ذلك اكتساب فهمٍ للعادات اللغوية والثقافية الخاصة بالجماعة البشرية قيد الدراسة. ومن خلال الجمع بين فروع الأركيولوجيا (علم الآثار)، ودراسة الثقافة المادية والتاريخ، والأنثروبولوجيا الفيزيائية، ودراسة التنوع والاختلاف في تشريح الجسم البشري، مع الأثنولوجيا، ودراسة الاختلاف الثقافي في العادات،

[87] LENCLUD, Gérard. 1986. « En être ou ne pas en être. L'anthropologie sociale et les sociétés complexes », L'Homme, n° 97-98, pp. 143-153.

واللسانيات الوصفية، ودراسة اللغات المحلية غير المكتوبة.وتمكن "بواس"بهذا من وضع التقسيم رباعي الفروع للأنثروبولوجيا، الذي برز في الأنثروبولوجيا الأمريكية في القرن العشرين.[88]

ب. مرحلة التكوين (1900-1915): وهي تمثّل المرحلة التي شهدت تكاثرا في الدّراسات الميدانية عن المجتمعات الصّغيرة وخاصة قبائل الهنود الحمر في الو.م.أ التي كانت تتعرّض ثقافتها للانقراض. وتسابق الانثروبولوجيون إلى تسجيل هذه الثقافة وتاريخها وتصنيفها. كان الباحث "كلارك ويسلر" Clark Wissler أول عالم أنثروبولوجي يدرك الجانب المعياري للثقافة، وتعريفها على أنها سلوك مكتسب، ووصفها على أنها مجموعة من الأفكار، وجميع خصائص الثقافة المقبولة اليوم بشكل عام. كان ويسلر متخصصًا في الإثنوغرافيا في أمريكا الشمالية، حيث ركز على هنود السهول. ساهم في مجال الثقافة وإيديولوجية المنطقة العمرية لوجهة نظر النشر التي لم تعد تحظى بشعبية في الأنثروبولوجيا.[89]

وأثمرت جهود هذا الباحث (كلارك ويسيلر) بصياغة نظرية تنظيمية للثقافة مثل "المنطقة الثقافية" و"المجموعات الثقافية"، الذي اعتبر أنّ "المنطقة الثقافية" culture area هي اقليم أو منطقة جغرافية من العالم تعيش عليها مجموعة من المجتمعات الانسانية ذات ثقافة متشابهة. والغرض من المنطقة الثقافية حسب هذا الباحث هو التمكن من تصنيف ثقافات العالم لإلى مجموعات ثقافية تتكون كل مجموعة من عدّة ثقافات متشابهة أطلق "ويسلر" على كل مجموعة مصطلح منطقة ثقافية. وللوصول على هذه المناطق لابد من دراسة ثقافات مجتمعات منطقة محددة بشيء من التفصيل وذلك من خلال تحديد عناصر تلك الثقافات Culture Traits، وتحديد مدى انتشار تلك العناصر في المنطقة الثقافية. وتعرف العناصر الثقافية ومن أمثلة تلك العناصر الوسائل المستخدمة في الحصول على

[88]LÉVI-STRAUSS, Claude. 1958. Anthropologie structurale. Paris. Plon, p 35.

[89] MALINOWSKI, Bronislaw. 1989 (1963). Les Argonautes du Pacifique occidental. Paris. Gallimard (1ère éd. 1922), p 45

الطعام وطرق طهي الطعام والأدوات المستخدمة في الصيد وفي الطهي والزينة، والمواد المستخدمة في بناء المنازل وأساليب بناءها، هذا بالإضافة إلى النظم الاجتماعية كنظام القرابة واصطلاحات القرابة ونظم الزواج ونظم تربية الأبناء والنظام الديني بعناصره المختلفة والنظام السياسي وغيرها.

وقد وضع "ويسلر" نموذجا لشرح نظريته فشبه المنطقة الثقافية بدائرة، ومركز تلك الدائرة يمثل "مركز الثقافة"culture centre ويقصد بذلك المصطلح المكان أو المجتمع الذي تتركز فيه معظم العناصر الثقافية المنتشرة في المنطقة الثقافية أو الذي يوجد فيه أكبر تكرار للعناصر الثقافية النمطية. وبالقرب من محيط الدائرة يوجد «هامش الثقافة[90]`` حيث تقل عناصر المنطقة الثقافية وذلك لاختلاط تلك العناصر بعناصر ثقافية أخرى. طبق مفهوم المنطقة الثقافية بدرجات متفاوتة من النجاح على عدة نظم ثقافية في مناطق متعددة من العالم بل لقد طبق على قارات بأكملها مثل أمركا الشمالية وأفريقيا وآسيا وأوروبا. حاول بعض العلماء الانتقال من مبدأ ``المنطقة الثقافية`` القائم أساسا على فكرة ظهور العنصر الثقافي في مكان محدد لأول مرة ثم ينتشر استخدامه في المناطق المحيطة به إلى مبدأ "المنطقة الزمنية" على أساس أن عمر العنصر الثقافي يكون في المكان الذي ظهر فيه أطول من عمره في الأماكن الأخرى التي انتشر فيها، تعرض تطبيق مبدأ «المنطقة الزمنية» لعقبات ومشاكل كثيرة ولذلك لم ينجح مثل مبدأ «المنطقة الثقافية» وليس معنى ذلك أن نظرية «المنطقة الثقافية» لم تتعرض للنقد السلبي، فقد أثير حولها الكثير من الجدل والاعتراضات، وقد لخص العالم "ديكسون Dixon" تلك الاعتراضات فيما يلي:[91]

[90] Ibid, p 56

[91] KILANI, Mondher. 1994. « Anthropologie du développement ou développement de l'anthropologie ? Quelques réflexions critiques », in RIST, Gilbert (dir.). La culture otage du développement ?. Paris. L'Harmattan, p 26.

❖ عدم وضوح طريقة التطبيق، فمثلا نمط ثقافي مثل الزراعة هل ننظر إليه على أنه عنصر ثقافي بسيط أم عنصر ثقافي مركب يتكون من عدة عناصر ثقافية بسيطة؟

❖ صعوبة تحديد خطوط دقيقة تفصل بين منطقة ثقافية وأخرى، إذ أن مثل تلك الخطوط لا توجد في الواقع نظرا لتداخل المناطق الثقافية في الإقليم الواحد.

❖ يفهم من نظرة "المنطقة الثقافية" أن هناك ترابط بين البيئات الجغرافية والحضارات التي توجد فيها، ولكن الدراسات الميدانية عدم عمومية ذلك الترابط، إذ يعيش الإنسان في البيئات الجغرافية المتشابهة بطرق معيشة مختلفة تماما عن بعضها، بحيث نجد ثقافات مختلفة تماما في بيئات جغرافية متشابهة، ومن ناحية أخرى قد نجد ثقافات متشابهة في بيئات جغرافية مختلفة.

ت. مرحلة الازدهار (1915-1930): برز علم الانثروبولوجيا الثقافية في هذه المرحلة بعد وضوح مفاهيمه وارساء مناهجه، وكثرة دراساته، وربّما مركزها الأوّل كان في الو.م. أ ، وكذلك صار معظم علمائه من الامريكين، وزادها ازدهار المدرسة التاريخية التي أسّسها "فرانس بواس" F.Boas بعد تطويرها وتعديل بعض قضاياها. كما ساعد مفهوم "المنطقة الثقافية" على تحليل المادة الثقافية، وتفسيرها من خلال التاريخ وعبر عمليات تكوينها وتطوّرها. كما افتتح العالم الأمريكي "سابير" Sapir هذه الفترة ببحثه الشهيرالموسوم بـ"عامل الزمن"، وبدأه بعبارات تؤكد مبادئ المدرسة التاريخية، حيث أكدّ أنّ تسير الأنثروبولوجيا الثقافية "تسير بسرعة نحو اتخاذ القرار صورة على التاريخ، إذ لا يمكن فهم معطياتها سواء في ذاتها أو في علاقتها مع بعضها إلا على أنها فقط نهاية لحوادث معينة متتابعة ترجع إلى ماضي بعيد." ويقصد بذلك أنه لا يمكن فهم الدراسات الوصفية لعناصر الثقافات المختلفة إلا عن طريق ربط حاضرها بماضيها.[92]

[92] Ibid, 27

ويعتبر التحقيق الميداني إحدى التقنيات و المقاربات التي ساعدت على تطور الأنتروبولوجيا في أمريكا. فالأعمال التي قام بها "بواس"F..Boas ، الذي يعد سيد الملاحظة المباشرة والمؤسس للأنثروبولوجيا الأمريكية، تتلخص في دراسته لمجتمعات الأسكيمو والهنود في الشمال الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي استطاع من خلال هذه التحقيقات و الدراسات الميدانية أن يؤسس مرحلة جديدة من البحث والتي تتمثل في القيام بالدراسات المنوغرافية الكبيرة والتي أثرت فيما بعد على البحوث التي أنجزت من طرف "مالينوفسكي" Bronislaw Kaspar Malinowski في جزر التروبويند و"فيرخت" Firth في تيكوبيا وأعمال ميدانية أخر.[93]

قد استطاع "بواس" F.Boas أن يأتي بتقاليد خاصة في البحث أثرت على خصوصية أنتروبولوجيته و إثراء معرفته. فبالنسبة لـ "بواس كل ثقافة تعد ظاهرة فريدة و خاصة. فالتحقيق الميداني هو السبيل الوحيد لدراسة هذه الخصوصية لثقافة المجتمع المدروس. عملت هذه الخصوصية الثقافية على دفع باحثين أنتروبولوجيين متشبعين بتوجه نفساني، و خاصة الأنتروبولوجيين الأمريكيين ذوي الإهتمام بثقافة الشعوب إلى القيام بأبحاث و تحقيقات ميدانية للكشف عن مميزات الثقافة في هذه المجتمعات.[94]

غير أنّ المدرسة الانتشارية لم تنحصر في حدود المجتمع الأمريكي، بل صار لها فروع في بلدان اوروبا تتبنى الفكر الانتشاري، وتدعيمه بدراسات طبية وتشريحية واركولوجية (أثرية). وكان من رواد هذه المدرسة في بريطانيا الباحث "ادوين سميث" Edwin Smith الذي كان استاذا في التشريح بكلية الطّب بجامعة "مانشيستر". وكان الفرع الثاني للمدرسة الانتشارية خارج الو.م. أ في المانيا، حيث اهتم بدراسة تاريخ ثقافات العالم ضمن المنهج التاريخي في دراسة الثقافة. وحمل لواء هذا الفرع العلمي الانثروبولوجي الالماني "قرايبر" الذي استهدف تحديد مجموعات من "العناصر الاساسية" وفحصها في

[93] Ibid, p 30

[94] MENGET, Patrick : *Histoire de l'anthropologie*, BONTE, Paris, 2000, p 91.

اطارها التاريخي الجغرافي. وقصد الباحث "قرايبر" بالعناصر الأساسية بمجموعة العناصر التي يتكوّن منها النمو الثقافي العالمي، وهي المركب الثقافي، والعناصر الثقافية والدائرة الثقافية والشريحة أو الطبقة الثقافية. وتتكوّن تلك العناصر الأساسية عن طريق تجميع العناصر الثقافية البسيطة التي ترتبط بعضها ببعض بصورة منطقية، يمكن عزلها عن بعضها والتحقق من وجود كلّ عنصر على حده التاريخ الثقافي. [95]

ث. مرحلة التوّسع والانتشار (1931-1940): شهدت هذه السنوات تحوّلات ومشكلات خاصّة بالانثروبولوجيا الثقافية لا سيما في الو.م. أ. ومن ذلك توجيه سهام النقد الشديد إلى المدرسة التاريخية، والمدرسة التاريخية الجغرافية، والمدرسة الانتشارية من قبل علماء الانثروبولوجيا من داخل وخارج الو. م. أ. هذا في الوقت الذي شهدت فيه بحوث ودراسات الانثربولوجيا الاجتماعية ازدهارا وتطوّرا في بريطانيا وخاصة مع الباحث "مالينوفسكي" "ورادكليف"Alfred Radcliffe. وعندما وصلت تلك الدّراسات إلى الو.م.أ مسقط رأس الانثروبولوجيا الثقافية أحدثت ضجة كبيرة وانعراجا واضحا في مفاهيم ومناهج مدارس أخرى غير المدرسة التاريخية، والمدرسة الانتشارية. ونتج عن ذلك قيام "الفريد كروبر" Alfred Louis Kroeber بفحص العلاقة بين المناطق الجغرافية (الطبيعية) والمناطق الثقافية، بطريقة اعمق توّصل من خلالها إلى مفهوم جديد هو "قمّة الثقافة"، ويعني به المكان الذي يمثّل أقصى تركيز أو تمثيل لثقافة معيّنة، واستخدامه بدلا من المفهوم الذي طرحه قبله الباحث "ويسلر" "مركز الثقافة". [96]

كما ظهرت في هذه الفترة ايضا نظرية "الصيغة الكلية" التي مهد الباحث "سابير" عندما عارض فكرة فصل الثقافة عن الأفراد الذين يبدعونها ويصنعونها. وبالتالي دعى إلى ضرورة الاهتمام الانثروبولوجي

[95] Pierre & IZARD, Michel. Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie. Paris. Quadrige/PUF, p 55

[96] Ibid, p60

بالفرد ومشاعره وأفكاره، وعدم ترك هذا الموضوع لعماء النفس فقط. كما أكّد على الخاصية الرمزية لأنّ كل سلوك ثقافي هو سلوك رمزي قائم على معان مشتركة ومتبادلة بين أفراد المجتمع.

ج. مرحلة التّخصّص (1940- 1970): شهدت هذه الفترة التاريخية توسيع الدراسات على المستوى القومي، وهي من أهم الاتجاهات الحديثة في الأنثروبولوجيا الثقافية. إذ انتشرت البحوث الخاصة بالمجتمعات الحديثة الكبيرة بغرض تحديد خصائص ثقافتها على المستوى القومي، فنجد أبحاثا حول خصائص الثقافة الأمريكية أو الثقافة الألمانية أو الثقافة اليابانية أو اثقافة الصينية. ومن العوامل التي ساعدت على ظهور هذا الاتجاه ظروف فترة الحرب العالمية الثانية. في هذا السياق نذكر ما قام به بعض الباحثون الامريكيون من دراسات قومية على غرار الباحثة الأمريكية "بنيديكت روث" التي قامت بدراسة لتحديد معالم الثقافة اليابانية والمعروف أن اليابان كانت في حالة حرب مع أمريكا في ذلك الوقت، لذلك اعتمدت في تلك الدراسة على اليابانيين الموجودين في الولايات المتحدة الأمريكية للتغلغل أكثر في الخصائص الثقافية لهذه المنطقة الثقافية..[97]

وكانت "بندكت" من وضعت مفهوم "السيمة القومية"، من بين أبرز علماء الأنثروبولوجيا الثقافية الذين جندتهم حكومة الولايات المتحدة لإجراء البحوث والاستشارات المتعلقة بالحرب بعد دخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية.[98]

وقد تأثّرت الباحثة في علم النّفس والفلكلور "روث بندكت" Ruth Benedict بهذه بنظرية "سابير" عن الصيغة الكلية، بل استخدمت نفس المصطلح في دراساتها الميدانية للقبائل الهندية في جنوب غرب أمريكا الشمالية، خاصة ما تعلّق بثقافات البيبلو النافاهو. فثقافة البيبلو تتميّز بالاهتمام بالمظهر الخارجي للسلوك، والطّقوس، واحترام العادات والتقاليد، والفردية المتشككة، ولذلك اطلقت عليهم الباحثة مصطلحا نفسيا وهو "ثقافات منبسطة" Extrovert cultures.

[97] ibid, p 60.

[98] Van Gennep, Arnold : *Les Rites de passage*, Picard, Paris, 1981, p 70.

وأما ثقافة النافاهو فقد كانت على النّقيض تماما، فهي ثقافة ذات طابع فردي كثيف، وعدوانية، ويغلب عليها العنف، وتتاثّر بالدافع النفسي أكثر من تأثرها بالدافع الجماعي الخارجي، فطلقت عليها مصطلح "ثقافات منطوية" Introvert cultures. [99] كانت الباحثة "بندكت" من بين أبرز علماء الأنثروبولوجيا الثقافية الذين جندتهم حكومة الولايات المتحدة لإجراء البحوث والاستشارات المتعلقة بالحرب بعد دخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية. من بين هؤلاء الأنتروبولوجيين نذكر Ralph Linton, Margeret Mead, Puth Bendict الذين يمثلون مدرسة "الثقافة والشخصية"، و يركزون في أبحاثهم على الخصوصية الثقافية لما لها من دور في تشكيل بعض النماذج والأنماط (Patterns) التي تغرس في الأفراد وتؤثر على مواقفهم و سلوكاتهم".

وأعربت ب"بندكت" في كتاب أنماط الثقافة عن إيمانها بالنسبية الثقافية، وأرادت إثبات امتلاك كل ثقافة واجبات أخلاقية خاصة لا يمكن للمرء فهمها إلا إذا درس تلك الثقافة ككل. كما شعرت بندكت بخطأ الاستخفاف بعادات أو قيم ثقافة مختلفة عن ثقافة المرء؛ فهذه العادات لها معنى لدى الأشخاص الذين عاشوها ولا ينبغي فصلها أو الاستهزاء بها. ويجب ألا نحاول تقييم الأشخاص وفقًا لمعاييرنا وحدها؛ بل إن الأخلاق ذات صلة بقيم الثقافة التي يعيش فيها المرء. ووصفت شعب "الكواكيوتل" الذي يقطن شمال غرب المحيط الهادئ بناءً على العمل الميداني لمرشدها "بواس"، وشعب "البويبلو" الذي يقطن نيو مكسيكو اعتمادًا على الحياة التي عاشتها معهم، وشعوب السهول العظمى إضافةً إلى ثقافة سكان "الدوبو" في غينيا الجديدة بالاعتماد على العمل الميداني لكل من الباحثين "مارغريت ميد" و"ريو فورتشن". قدمت روث دليلًا على إمكانية فهم قيمهم، حتى وإن بدت غريبة، بناءً على الأنظمة الثقافية المتماسكة الخاصة بهم ودعت إلى وجوب فهمها واحترامها.[100]

[99] Menget, Patrick, opcit, p 67

[100] Van Gennep, Arnold , Arnold : *Le folklore français,* Laffaut,Paris, 1998, p80

بيد انه لاحقا اعترض النقاد على درجة التجريد والتعميم التي يحملها نهج "الثقافة والشخصية"، وجادل البعض في أن الأنماط الخاصة التي وجدتها قد لا تشكل سوى جزءًا من ثقافة الشعب المدروس. وقد كتب الباحث "ديفيد أبيرل" أن شعب مثلا "بويبلو" قد يكونون هادئين ولطيفين في طقس من الطقوس أو في ظروف معينة، ولكنهم قد يكونون مريبين وانتقاميين ومتوحشين في ظروف أخرى.

كما طور علماء الأنثروبولوجيا الآخرون في مدرسة الثقافة والشخصية أيضًا هذه الأفكار، ولا سيما "مارغريت ميد" Margaret Mead، التي قضت حياتها في دراسة الشعوب الذين يعيشون على الجزر البعيدة في المحيط الهادئ، حيث ذهبت إلى ساموا وإلى غينيا الجديدة، ودرست خمسة شعوب منفصلة هم : المانوس والأرابيش والمندوجومر والتشامبولي والإتامول. كما رحلت إلى "بالي" لدراسة سكانها.[101] وهذا بعدما تعلمت اللغة المحلية للمجتمعات المدروسة، كما تعلمت أساليب أخذ العينات وإجراء الاختبارات والمتابعة المنظمة لأنواع السلوك من خلال دراستها لعلم النفس، كما كانت لديها خبرة بأسلوب دراسة الحالة ومعرفة بأن السلوك الفردي ينبغي أن يدرس في ضوء السياق الاجتماعي، هذا بالإضافة الى طريقة تمكنها من تقنية الملاحظة بالمشاركة.

ح. مرحلة النضج (1970 - 2000): شهدت هذه الفترة مجموعة من التغيرات والملامح الفارقة في تاريخ الانثروبولوجيا الثقافية على المستوى الأكاديمي والمنهجي والتطبيقي. وبالتالي هي فترة النضج الكامل لهذا العلم من الناحية النظرية والمنهجية والميدانية. فبعدما كان الاطار النظري المسيطر على هذا النوع من التبحوث اصبحت الدرسات الميداينة هي المسيطرة، واضحت الملومة تنقل من الواقع الثقافي والاجتماعي وليس من الكتابات، وقد بدأ هذا التحوّل بالأساس في المناخ النظري للأنثروبولوجيا

[101] Menget, Patrick, opcit, p 33

البريطانيّة كنتيجة لبحوث "إدموند ليتش" Edmund Leach في بِنى القرابة. وتتجلى ملامح هذا النضج العلمي في ما يلي:[102]

- ❖ الاعتراف بالانثروبولوجية الثقافية كتخصص علمي أساسي قائم بحد ذاته على مستوى كل الجامعات في العالم سواء الجامعات الامريكية (الشمالية والجنوبية) او الجامعات الاوروبية او الجامعات الاسيوية أو الافريقية. وبعد كل هذه الجهود التي بذلها الباحثون أصبحت الأنثروبولوجية الثقافية ارثا يحتل مقاعد الجامعات ومراكز البحث، وطريقة بحث تدرس في المدرجات والفصول من قبل باحثين وأساتذة مختصين، ووفق قواعد وتقاليد عريقة في البحث، بل اصبحت التحقيقات الاثنوغرافية حول المنطق الثقافية مرجعا أساسيا لمختلف تأويلات البيانات الكمية أيضا.
- ❖ الاهتمام بدراسة المجتمعات الحديثة كبيرة الحجم وعلى المستوى القومي، حيث اتسعت دائرة الدراسات الانثروبولوجية الثقافية. ويجب ملاحظة أن اهتمام الجامعات الأفريقية يتركز حول الأنثروبولوجيا الاجتماعية نظرا لارتباطها بالجامعات الانجليزية التي لا تعترف تقريبا إلا بالأنثروبولوجيا الاجتماعية.
- ❖ التوسّع الجغرافي في دراسات ثقافات المجتمعات المعاصرة، وعدم التقوقع فقط على دراسات الثقافات والمجتمعات شبه البدائية أوا لبسيطة أو الشعبية.
- ❖ بروز مجال التخصص الدقيق في مجال البحوث الانثروبولوجية الثقافية، على غرار تخصص الباحث في دراسة منطقة ثقافية معينة أو مرحلة تاريخية محددة لثقافة معينة، أو في تتبع منهج وطرق البحث الانثروبولوجي... ما فرض على هذا العلم التداخل والتعاون مع بقية العلوم الأخرى وهو ما يسمي "بالاتجاه البيني".

[102] Menget, Patrick, opcit, p 67

خ. **مرحلة الثقافة الرقمية (2000 إلى يومنا هذا):**[103] رغم التطوّر التكنولوجي الكبير الذي تشهده الحياة المعاشة إلا ان الإنسان العاقل homo sapiens يبقى دائما الظاهرة الأساسية التي لا تتوقف الدراسات والبحوث الانثروبولوجية عن محاولات الغوص والتنقيب عن اسرارها، ومحاولة تفكيك علاقاته مع كل ما يحطه به وينتجه. ومع دخول التكنولوجيا واستخدامها بهذا الشكل المتسارع والشامل، بدأنا نخطو حثيثاً نحو ظواهر ثقافية مختلفة تتميز بتزاوج الانسان والآلة. هذا الانصهار أسس لظهور ما يسمى بالإنسان السيبراني الرقمي ذو الطّبيعة المختلفة، الذي أُطلق عليه مصطلح "السايبورغ" cyborg، و ما بعد الانسان posthuman على حد تعبير بعضهم، وهي حالة سمحت للإنسان الى توسيع قدراته العقلية والتأسيس لوقائع حياتية جديدة متنوعة وثقافات مختلفة عن السابق. هذا التغيير والتنوع الثقافي الذي تناسل ضمن المجتمع الواقعي انعكس بكامل تجلياته في المجتمع الافتراضي، إذ يعتمد المشتركون السيبرانيون عبر استخدام مختلف التقنيات تشكيلات ومقاربات مختلفة تبعاً لواقعهم وبيئتهم، تبعاً لثقافتهم المختلفة.

وأما هذه البيئة والثقافة الجديدة اصبح هناك حديث عن انثروبولوجية ثقافية رقمية تستهدف هذه دراسة هذه الثقافات التي انتشرت رقميا. ومن بين الباحثين نجد "دانييل ميلر" Daniel Miller الذي كتب عن مواقع التواصل الاجتماعية، والدلالة الخاصة لهذه المواقع بالنسبة إلى الأنثروبولوجيا، مبينًا أن هذه الأخيرة ارتبطت تقليديًا بدراسة العادات والتقاليد في مجتمعات ذات نطاق صغير، أما الرقمي فرفع من سرعة التغير الاجتماعي، ومثل نموذجًا للتحول السريع. إذ يؤكد "ميلر" أن الانتشار الهائل لمواقع التواصل الاجتماعية يفسّر أنّها قد تصبح قريبًا مظهرا لكلّ مجال للدراسة الأنثروبولوجية في المستقبل؛ انطلاقًا من الحياة الاقتصادية والدين ومختلف المظاهر الثقافية إلى دراسات التطور الأنثروبولوجي ذاته.

---

[103] Ibid, p 70

من جهتها أشارت الانثروبولوجية الثقافية "هيذر أ. هورست"[104] Heather A. Horst عبر دراسة حول "تكنولوجيا الميديا الجديدة في الحياة اليومية"، إلى أن الحياة المنزلية التي كانت ولا تزال الاهتمام الأول لتخصص الأنثروبولوجيا انتقلت لدراسة الميديا الجديدة في البيت، فقد غيّرت هذه التكنولوجيا البنية التحتية لإيقاع الحياة اليومي داخل هذا الحيّز، إذ يعالج في هذه الدراسة العلاقات بين المكان ومفاهيم الذات. كما ترى "لين دي نيكولا" بتناول موضوع الجيوميديا؛ إعادة تأكيد الفضاء في الثقافة الرقمية، دارسة نظام المعلومات الجغرافية، وكيف شكل فارقًا في تاريخ البشرية الحالي، إذ يبيّن أنها تعيد تشكيل المفاهيم التقليدية للثقافة، داعيًا إلى ضرورة فحصها، خاصة من قبل الأنثروبولوجيين؛ نظرًا إلى كونها حاسمة في فهم المنطق التام للأنثروبولوجيا الرقمية.

[104] باحثة انثروبولوجية ثقافية واجتماعية يرتكز بحثها على العلاقة بين المكان، والفضاء، ووسائل الإعلام الجديدة. نُشرت أبحاثها في العديد من الدوريات العلمية، مثل دورية الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الأنثروبولوجيا المعاصرة، دورية الثقافة المادية، الشبكات العالمية، الهويات، الدورية الدولية للتواصل، والمراجعة الكاريبية لدراسات النوع الاجتماعي. كما كانت هورست ضيفة محررة في أعداد خاصة من الدورية الدولية للاتصالات، دورية الثقافة المادية، الدورية الدولية للدراسات الثقافية، والثقافات المنزلية. كما شاركت في تأليف كتاب الهاتف الخلوي: أنثروبولوجيا التواصل، وكتاب التعلق، وكتاب اللعب والمذاكرة: عيش الأطفال وتعلمهم عن طريق وسائل الإعلام الرقمية.

المحور الثالث: الانثروبولوجيا

في حقل علوم الاعلام والاتصال

اولا: مدخل الى انثروبولوجيا الاتصال

1. ماهية الاتصال:

إنّ الصورة التي تتبادل الى الذهن عند الحديث عن الاتصال بحسب الباحث ابف وينكين هي صورة السهم الذي ينطلق من مرسله حاملا لرسالة غالبا ما تكون شفوية إلى مستقبل يمكن ان يكون بدوره لاحقا مرسلا... وهكذا دواليك. هكذا بدأ هذا الباحث فصله حول انثروبولوجيا التواصل في كتابه الموسوم بانثروبولوجيا التواصل من النظرية الى الميدان، حيث راح يقول ايضا أن التواصل يختلط بين داخل المعجم المتداولوالمخيال اليومي.[105] وهي اختضارات بحسبه وجدت في البحوث الاولى للاتصال.

وتجدر الاشارة الى أنّ تعاريف الاتصال كلها مجتمعة على انه عملية يتفاعل بمقتضاها مرسل ومتلقي ورسالة سواء أكان المرسل شخصا أو جهازا أليا بمضامين اجتماعية، وأنّ ايضا عملية دينامية دائرية يتفاعل من خلالها فرد أو أكثر بغرض تبادل المعلومات والأفكار والآراء، وتتم في وسط اجتماعي يساعد على المشاركة في المعلومات والانفعالات بحيث أن لهذه العملية أهداف معينة وردود فعل حالية ومستقبلية. كما تتميّز العملية الاتصالية بعدّة مميزات يمكن ان نختصرها في النقاط التالية، والتي كانت نتيجة الدراسات التي تمت في هذا الحقل خلال الخمسينيات من القرن الماضي:

- **الاتصال ظاهرة اجتماعية:** الاتصال بين البشر ظاهرة إنسانية واجتماعية قديمة، ارتبطت بالإنسان وتطورت بتطور الحياة الإنسانية...
- **الاتصال لا يلغى (لا يكرر):** ليس من السهل إلغاء تأثير الرسالة الاتصالية وإن كان غير مقصود كزلة اللسان، الخطأ في اختيار الزمان، المكان أو الموقف الاجتماعي. وهنا يبدأ الأسف أو الاعتذار. ولكن من الصعب سحب الكلام أو الرسالة إذا ما تم توزيعها.
- **تتميز العملية الاتصالية بالتلقائية والعفوية:** تتم عملية الاتصال بشكل عفوي غير مقصود "تلقائي" من خلال شبكة من العلاقات الشخصية غير الرسمية.

[105] وينكين، ايف: "**انثروبولوجيا التواصل: من النظرية الى الميدان**"، ترجمة عمراني خالد، هيئة البحرين للثقافة والاثار، المنامة، 2018، ص 25.

❖ **الاتصال عملية لها صفة المرونة (قابلية التعديل):** يتمتع الاتصال بدرجة عالية من المرونة، وتزداد حينما يواجه مقاومة المتلقي لتوفر رجع الصدى بدرجة كبيرة، مما يدفع الأفراد إلى محاولة تجريب الأفكار المستحدثة بعد اقتناعهم بها وممارستها. ويتجلى ذلك من خلال الوسائل التقليدية (الأسواق، المقاهي، الجماعات المحلية.)

❖ **الاتصال ظاهرة عامة لها صفة الانتشار:** لأن الاتصال ظاهرة إنسانية واجتماعية تجعل منه ظاهرة عامة تخص كافة الفئات الاجتماعية دون استثناء. فجميع الأفراد يتصلون مع أنفسهم (الاتصال الذاتي) ويتصلون فيما بينهم (الاتصال الفردي)، مستخدمين أساليب تمكنهم من تنظيم حياتهم والسعي لفهم الآخرين فنجدهم يتحاورون ويسعون بكل جهدهم لفك العزلة عن أنفسهم، مما يعني أن الاتصال صفة منتشرة وذائعة لدى جل البشر...

❖ **الاتصال عملية واقعية:** يتواجد الاتصال حيثما يتواجد الفرد، فأينما حللنا نحن في اتصال دائم وحثيث مع أنفسنا ومع من يحيط بنا، فالفرد حقيقة واقعية يومية فطالما هو كائن هو في اتصال، فالاتصال لا مناص منه يلاحقنا شئنا أم أبينا فحتى صمت الفرد وعزوفه عن الاتصال هو الاتصال في حد ذاته.

❖ **الاتصال عملية تحقق الموثوقية:** إن الكلمة المنطوقة أكثر تصديقا وفاعلية من الكلمة المطبوعة، لذلك يثق الكثير في الأشخاص والمصادر الذين يعرفونهم ويحترمونهم أكثر من ثقتهم في مصادر الاتصال الجماهيري، أي يقبل ما يقال بثقة أكبر في الاتصال المباشر الذي يتسم بشكل غير مقصود وبعفوية.

❖ **الاتصال عملية توفر رجع الصدى الآني (دائرية):** ضمن الاتصال الذي يتم وجها لوجه، يمكن الحصول على ردود أفعال المتلقين فورا وفي الحال (بشكل آني). ويسمى رجع الصدى الفوري (التغذية الاسترجاعية الفورية). إذ يمكننا أن نرى ونسمع ونلمس الشخص الذي نتحدث إليه، ونتأثر بردود أفعاله، مما يسمح لنا بإعادة تكوين الاتصال. ويمكن للمرسل أن يتحقق من طريقة أدائه في إرسال الرسالة في

نفس لحظة بثها ويمكن أن يدرك ما إذا كانت الرسالة قد فهمت أم لا. وبالتالي يمكن إعادة صياغتها وتكرارها أو تكرار أجزاء منها وذلك عن طريق رجع الصدى السريع.

❖ **الاتصال عملية معقدة:** يلجأ الفرد لتحقيق التفاعل الاجتماعي لمختلف أشكال الاتصال (الاتصال المنطوق، الاتصال المدون والاتصال المتعدد الوسائط) والاتصال غير اللغوي (لغة الصمت، لغة الجسد والمستوي المدون وغير المدون...) باعتبار الاتصال عملية معقدة.

❖ **الاتصال عملية تفاعلية:** الاتصال إذن يرتكز على مبدأ التفاعل بين الأفراد بهدف التغيير نحو الأفضل، فالاتصال عملية تفاعلية لكوننا في كل صغيرة وكبيرة نبغي التبادل والمشاركة مع الآخر لأجل تعديل سلوكاتنا، تصحيحها أو التعرف على سلوكات الآخرين أو حتى التأكد من صحة سلوكاتنا وصدقها بهدف تفعيلها وتمريرها لغيرنا دون عناء أو تقصير، فالفرد بمشاركته الآخر يفصح عن أهمية التفاعل وبالتالي أهمية الآخر وأهمية التواجد ضمن الجماعة لأننا في جل اتصالاتنا مهما كان نوعها وشكلها نؤثر ونتأثر (أخذ وعطاء)، نغير ونتغير إن كنا فعلا ننوي التواصل.

❖ **الاتصال عملية مستمرة (دائمة):** الاتصال حقيقة من حقائق الكون المستمرة إلى الأبد فليس لها بداية أو نهاية فنحن في اتصال دائم مع أنفسنا ومجتمعنا والكون المحيط ... فالاتصال يستمر ما استمرت الحياة.

من جهة أخرى يمكن تحديد الاهداف الحقيقة من الاتصال في جملة العناصر التالية ايضا:

❖ **تحقيق الألفة والحد من العزلة:** يساعد الاتصال على تحقيق الألفة والتعارف بين الأفراد، وبذلك يتم التغلب على العزلة أو الوحدة عبر تنمية العلاقات مع الآخرين وكسب أصدقاء جدد. وبالتالي يسهم في توطيد العلاقات البشرية.

❖ تحقيق **التّرابط بين أفراد المجتمع:** ينطلق الاتصال السليم والهادف والبناء من نفس الإطار المرجعي (التماثل في القيم والاتجاهات والموروث الثقافي...) الذي يتبادله الأفراد، إضافة إلى نفس الاهتمام

والمصلحة العامة التي يسعون لها، فيحمل هذا النوع من الاتصال في طياته الآراء والمواقف الصائبة التي تحقق ترابط المجتمع وتماسكه وتسهم في تكامله وانسجامه وتقاربه وينأى عن الآراء والأفكار المنحرفة التي تثير البلبلة والانحرافات الاجتماعية مما يدفع المجتمع نحو النمو والتطور بكافة المجالات ومن ثمة تحقيق الاستقرار.

❖ **الإعلام:** الإعلام يدل على مضمون الرسالة، فالرسالة يمكن أن تكون إعلامية بشكل أو آخر أي أنها تعلم عن شيء ما لكن الإعلام يمكن أن يدل على تدفق الرسائل ذات الاتجاه الواحد من المرسل إلى المستقبل فيقال أعلمني فلان. والاتصال هو المجال الواسع لتبادل الوقائع والآراء بين البشر، لذلك الإعلام لا يعدو أن يكون من أنواع الاتصال لأنه فرع من فروع التفاعل (جزء من الاتصال) الذي يتم عبر استخدام الرموز قد تكون على شكل حركات أو رسوم أو نحوت أو كلمات أو أي شيء أخر يمكن أن يدفع سلوك الإنسان بطريقة لا تتوفر بالرمز وحده بمعزل عن التكييف الخاص بالفرد المستجيب. لذلك فالإعلام عملية لاحقة لعملية الاتصال.

❖ **تحقيق التواصل والاستمرارية:** بداية ينبغي أن نشير ونؤكد أن الاتصال لا يعني التواصل. أي أن الاتصال ليس مرادفا للتواصل. الاتصال عملية تسبق التواصل وتؤسس له وتحققه إن كان الفرد ينوي ويرغب في التواصل، أي يتحول ويغدو الاتصال تواصلا ويستمر عبر الزمن برغبة ملحة من كلا الطرفين (المرسل والمتلقي) ويبذلان ما في وسعهما للمحافظة عليه واستمراره، أي أن التواصل يشترط استمرارية الاتصال بنفس الوتيرة والدرجة التي انطلق منها، وقد لا يصبح الاتصال تواصلا رغم وجود أرضية (تمهيد) تحتضن جل تفاعلاته الرمزية... ببساطة لغياب أو انعدام رغبة الاستمرارية من أحد طرفي عملية الاتصال. إذ الملاحظ أن رسائلنا الاتصالية اليومية المختلفة والمتعددة مع الآخرين تتضمن تعارفا، تحاورا، انسجاما، تبادلا وتفاعلا لحظي (آني) يخبو بتواري الأطراف المحركة له رغم توفر الشروط المواتية لتحقيق الاستعمالات والاشباعات.

نجد ان الانثروبولوجيون يرون ايضا أن الاتصال لا يقتصر على الاتصال الشفي أو عبر وسائل الاعلام والاتصال بل يتعمق الامر بسيرورة أكثر تعقيد، فالسلوك الجسدي، الحركات الارادية والالإرادية تلعب دورا في الاتصال إلى جانب أن لكل ثقافة شفرة سلوك ثقافي محددة الاتصال، فيم يعتمدون على مقولة" لا يمكن أن لا نتصل"، أي أن الاتصال هو كل مندمج في سيرورة اجتماعية دائمة التي تشمل مختلف نماذج السلوك: الكلمة،النظرة، الحركة، الابتسامة، الدمعة، الخوف، الرعشة، الفرح، الحزن... وكذلك في مختلف مجالات الحياة الانسانية والثقافية من كالاحتفالات والرقص، الموسيقى، المسرح، الهندسة المعمارية، الالوان، الاشكال، الملابس... وهو ما يدخل في اطار ما يسمى بالاتصال غير اللفظي. اذ هناك انواع من الاتصال يمكن ان نوردها باختصار في ما يلي:

1. تصنيف التواصل من حيث عدد المشاركين:

- الاتصال الذاتي:La Communication Intra -Personnelle : هو عملية تحدث على المستوى الفردي أي بين الشخص والذات، يرتبط هذا االنوع مباشرة بالشعور النفسي، وما تحمله النفس من مشاعر وأحاسيس، ولا يحتاج ذات أخرى لحدوث العملية بل هو تفكير باطني فردي، حيث يتصل يعمل مع نفسه سواء بطريقة استرسال صامتة تبحث في أرجاء الذات البشرية وحتى أحيانا نفكر بصوت عالي ونسأل ربما نجيب ونفرح ونبكي في تواصل فردي فعال حيث أقر الباحث جورج ميد أن هذا الاتصال يشكل حلقة مهمة تربط بين سلوك الفرد والبيئة المحيطة به، ويعد نقطة بداية الاتصال مع الآخرين.
- **الاتصال الشخصي** :La Communication inter–Personnel : يقوم أساسا على الحضور الفيزيقي مع الشخص أو الأشخاص المتواصل معهم في إطار شبكة العلاقات الاجتماعية، باستعمال اللغة وما يساندها. ويعتبر هذا النوع حسب الخبراء من أنجح أنواع الاتصال لأنّه يضمن الحضور الفيزيقي للمرسل والمتلقي في نفس السياق، يعني ذلك الاحتكاك المباشر بين الطرفين كما يمكن معرفة التغذية الراجعة مباشرة، كون جمهور هذا التواصل معروفا في الزمان والمكان مما يساعد على تعديل مسار

العملية الاتصالية وفق متطلبات الموقف الاتصالي، يفضل استخدام هذا النوع في الحملات الانتخابية والإشهارية.

❖ الاتصال الجمعي :La Communication de Groupe تحدث بين الفرد ومجموعة من الأفراد داخل الجماعة الواحدة أو بين جماعات مختلفة كأن يخاطب رئيس الجامعة مجموعة من الطلبة في عيدهم الوطني، أو يخاطب الإمام مجموعة من المصلين؛ لا يحتاج هذا التواصل إلى وسائط الاتصال فالقائم بالتواصل يعتمد على حضوره وتواجده الشخصي ضمن الجماعات والفئات الاجتماعية المستهدفة، يفتح هذا النوع فرصة المشاركة للجميع في العملية الاتصالية التي قد تكون على مستوى الأسرة وزملاء العمل والدراسة وقد تكون على مستوى الاجتماعات والندوات والملتقيات.

❖ الاتصال الجماهيري :La Communication de Masse يتم عبر وسائل الإعلام المختلفة (الصحافة المكتوبة، الإذاعة، التلفزيون...) ويتوجه إلى جمهور متنوع وغير معروف ضمن هذا النوع يصبح المستقبل الجمهور العريض الغير المتجانس والمكون من الملايين من البشر في أماكن مختلفة غير محدودة، ويعود اصطلاح جماهيري إلى "جمهور" أو "حشد" أي مجموعة من الناس يتمايزون في ميولاتهم وانفعالاتهم ومستوياتهم الاجتماعية والتعليمية ولا يتواجدون في نفس الحيز المكاني للعملية التواصلية الأمر الذي يغيب عنهم فرصة الاحتكاك مع الآخرين لتبادل الخبرات والتجارب ولكنهم متآلفين في سلوكهم الجماهيري التلقائي، تقلل ودرجة التفاعلية ودائرية الاتصال ورجع الصدى مقارنة بالتواصل المباشر، كما أن رسالته تتخذ اتجاه واحد أي من الوسيلة إلى الجمهور المتعدد والمتنوع، كما يوظف التواصل الجماهيري في الإشهار وفي الحملات الانتخابية .

❖ **الاتصال الشخصي بمساعدة التقنية:** يجمع بين بعض من سمات التواصل الشخصي وبعض السمات من التواصل الجماهيري وقد ساهم التطور التكنولوجي إلى إزالة الفوارق بين هذا النوعين من الاتصال بحيث يتميز هذا النوع بأنه يحقق الاتصال الشخصي بين طرفين متباعدين في الزمان والمكان ويتصلان بتوظيف التقنية مثل الهاتف.

❖ **الاتصال التفاعلي** : **La communication virtuelle** هو نوع من التواصل الذي يلغي حواجز الزمان والمكان يعتمد على الشبكات الالكترونية كشبكات الانترنيت ويصطلح عليه التفاعلية لأنه يسمح بالتواصل المباشر والآلي بين الأفراد، يبنى هذا النوع على الافتراضية أي أنه غير حقيقي أحيانا لأن المرسل يجهل المتلقي وتنتهي عملية التواصل وجهل المتواصلين بمجرد انتهاء التفاعل.

2. تصنيف التواصل من حيث الرسمية:

يسمى كذلك بالتواصل التنظيمي ويوجد هذا النوع في أغلب حالاته في المؤسسات والشركات والجامعات ويتم بين مختلف مستويات الإدارة المختلفة.

أ. التواصل الرسمي La Communication Officielle :

❖ **الاتصال العمودي:** يتم بين المستويات الإدارية المختلفة في هيئة أو مؤسسة بالطرق الرسمية المتفق عليها في نظمها وتقاليدها، ويقوم هذا الاتصال على الخطابات والمذكرات أو التقارير حيث يوجد في كل هيئة أو مؤسسة شبكة الاتصالات الرسمية بأنواعها المختلفة، بقصد الربط بين مختلف المصالح الإدارية، يتسم النوع بالقانونية وتتعلق بالعمل مباشرة وهو ملزم للأطراف ذات علاقة ويكون في اتجاهين: اتجاه عمودي: من الأعلى إلى الأسفل ويكون من الرؤساء إلى المرؤوسين أو من مستوى إداري أعلى إلى مستوى إداري أدنى، تتضمن رسائله أوامر وتعليمات وبلاغات وقرارات عبر تسلل هرمي من القيادة إلى القاعدة.

ومن أهم معوقات هذا النوع، كثرة المستويات الإدارية التي تمر بها الرسالة، كذلك البعد الجغرافي بين المرسل والمستقبل أحيانا.

اتجاه صاعد: يتم من الأسفل إلى الأعلى أي من المرؤوسين إلى الرؤساء أو من مستوى إداري أدنى إلى مستوى إداري أعلى في الهيكل التنظيم، يكون هذا النوع عادة في شكل تقارير وشكاوي واقتراحات

وملاحظات وتغذية راجعة مرفوعة إلى الإدارة العليا، غير أن هذا التواصل يزعج أحيانا الرؤساء، لكن هناك أسباب تجعله ينجح في بعض الأحيان كعدم انغلاق الإدارة على نفسها وإتاحة الفرصة للمرؤوسين للتعبير عن أرائهم، كما أنه يمكن أن تتحول هذه المعلومات الصاعدة إلى قرارات مناسبة تفيد الإدارة في اتخاذ قراراتها.

اتجاه الأفقي: هو نوع من الاتصال يحدث بطريقة أفقية على نفس المستوى المصالح على في الهيكل التنظيمي بين المصالح أو بين العاملين في نفس المصلحة، يرى بعض الباحثين بأن هذا النوع من التواصل هو من أنجح أنواع التواصل المؤسساتي لأن يتم بصورة متكافئة بين العالمين .

❖ **الاتصال غير الرسمي:** هو نوع تغيب فيه الرسمية ويتم بين العاملين بتبادل الأفكار ووجهات النظر والمعلومات في الموضوعات خاصة خارج قنوات التواصل الرسمية وهو تواصل يبتعد عن الإجراءات القانونية والإدارية المثبتة والمكتوبة، كما أنه يتم بين مستويات إدارية مختلفة متخطيا خطوط السلطة الرسمية، يتسم عادة بالشفهية والمباشرة وتكمن فائدته في الحصول على بيانات ومعلومات خارج قنوات التواصل الرسمية، كما أنه يتميز بالحميمية ويعبر عن العواطف والمشاعر ما يجعله متكافئا وتفاعليا بين المتواصلين.

3. تصنيف التواصل من حيث اللغة :

❖ **الاتصال اللفظي** :La communication verbales بمعنى التعبير عن الأفكار والآراء من خلال توظيف اللغة اللفظية والتي تكون عادة من خلال الصوت البشري الذي يعبر عن الكلمات واللهجة ودرجة علو الصوت وانخفاضه عند الحديث.

❖ **الاتصال الغير اللفظي** :La communication non verbales رغم أن اللغة اللفظية تصوغ التفكير والمعنى وفق ما تدل عليه الكلمة المنطوقة وطريقة أدائها غير أن ما يناوب اللغة يعتبر أساسيا في التعبير بصورة دقيقة عن التواصل والتواصل غير اللفظي هو تواصل يحدث دون استخدام اللغة

ويتضمن الحركات وهيئات ووقفات الجسم والخصوصيات الحواسية وكيفية تنظيم الأشياء واختيار الألوان والأماكن فهو يحمل كل التعابير التي تخص الذات الإنسانية.

لغة الجسم :Langages du corps يوظف الإنسان جسده كثيرا في تفاعله مع المحيط الخارجي كاستخدام اليدين أثناء الحديث وإماءه بتحريك الرأس وطريقة الجلوس والمشي.

المسافة بين الأشخاص أثناء الاتصال: La Proxémique وهي الفضاء الفاصل بين المتخاطبين بمعنى القرب أو البعد أثناء التواصل والتي قد تحيل على درجة القرابة والحميمية وعلى درجة التنافر والتعارض وهناك تخصص يعنى بهذه الأشياء وهو علم السميولوجيا.

اللباس وتوظيف الأشياء الصناعية: قد يدل اللباس على هوية الشخص بكونه طبيبا أو محاميا وقد يعكس مكانته الاجتماعية على أنه من أسرة غنية أو فقيرة كما توظف في بعض الأحيان بعض الأشياء الصناعية كنوع من الواجهة الاجتماعية مثل السيارة ونوع السكن.

لغة الألوان : langages des couleurs: قد يعكس اللون الحالة النفسية للشخص مثل لغة الأسود التي تدل على الحزن وفي بعض الثقافات وتدل على الفرح في ثقافات أخرى لذا يعد خطاب الألوان خطاب أنثروبولوجي بالدرجة الأولى يحمل خصوصية كل مجتمع في فرحته وحزنه ورسمي

2. التعريف بانثروبولوجيا الاتصال

جاءت تصنيفات الاتصال المذكورة سابقا جراء دراسات وبحوث تمت على طول شريط من السنسن والمراحل الزمنية المختلفة في حقل الاتصال، الذي شهد خلالها برز العديد من النظريات والتفسيرات للظاهرة الاتصالية والاعلالامية على حد سواء. ولانّ الانثروبولوجيا علم تولى خلال مسيرته دراسة الانسان ككائن اجتماعي وثقافي له علاقات متعددة ومتنوّعة مع المحيط الذي يتواجد فيه، فقد ادى توسع مجلات هذا المحيط وتنوع الوسائل والاادوات فيه لا سيما وسائل الاتصال والاعلام ، ومع تفرع الانثروبولوجيا الى عدة تخصصات كالانثروبولوجيا الاقتصادية، والسياسية والثقافية والاجاماعية والطبيعية والدينية والفنية... كان للاتصال فرصة الدخول في هذه التفرعات، حيث برزت ما يسمى بانثروبولوجيا الاتصال.

وقد كان لمدرسة شيكاغو دورا في توسيع دراسة االاتصال بعيدا عن وسائل الاعلام والاتصال فخاصيتيا الامبريقية تجعلها رائدة في بداية تأسيسا الانثروبولوجيا الاتصال هذه الاخيرة التي أساسيا مبني على االمبريقية والميدانية أكثر منيا على النظرية في خصوصية الانثروبولوجيا بمجلاتها المختلفة. وتحاول انثروبولوجيا الاتصال كتخصص علمي دراسة وتفسير الظاهرة الاتصالية داخل المجتمع الذي تتواجد فيه وتؤثّر فيه وتتاثر به، واستخدم هذا المصطلح لاول مرة من قبل الباحث دال هميس Dell Hymes سنة 1967 من خلال ما كتبه عن دراسة الوضعيات والسلوكات وابعاد دلالاتها الاتصالية. ومن الدراسات التي اعتبرت من المحاولات المساهمة في التاسيس لهذا الحقل المعرفي نجد:

- **حضارة المشافهة:** عاشت الانسانية ولآلاف السنين دون كتابة، اعتمدت فقط على التواصل اللفظي والمباشر، حيث كانت تسير الحياة من خلال الحركات والاصوات وبعض الالفاظ المتفق عليها والايماءات.... وقد قّد الباحث Maurice Houis دراسة في الانثروبولوجيا اللسانية باقتراب اتصالي، درس فيها التواصل الشفهي، الذي فقد لدى الدول المتقدمة؟ن تحديدا الاوروربية. وانطلق من تساءل مفاده

كيف تواصلت الشعوب التي لا تتقن الكتابة والقراءة وتعتمد المشافهة فقط في الاتصال ؟[106] كما اعتمدت على آلية التذكر، حافظت هذه المجتمعات على ارثها الثقافي المتبقي عن طريق نقل وتوارث نصوص تذكيرية متعددة قابلة للحفظ، تخلّد المجتمع وارثه الثقافي. وتعتمد آاليات المشافهة حسبه على عناصر اتصالية فعالة تضمن التواصل والتفاعل والاستمرار نحصرها في ما يلي:[107]

الاتصال اللفظي المباشر: عن طريق الصوت االانساني هو اتصال سمعي، معروف الهوية للفرد والجماعة، وهو عمومي في هذه الخصائص الثالث تؤسس إلى علاقات شخصية مباشرة ما بين الافراد عكس ما نجده في مجتمعات الكتابة حيث نجد العلاقات هي غير مباشرة تعتمد على عدة وسائط وصفها الباحث ليفي ستروس بأنها تنتج اتصال غير صادق .[108]

الذاكرة الجماعية: من خلال الاعتماد على أشخاص يمثلون مؤسسة ثقافية مثل الشعراء والمؤرخين الذين يروون التاريخ بشكل موسيقي في المناسبات يحكون فييا تاريخ العشيرة، الافراد، والسير الذاتية، مع الاشارة ان الجانب المرئي المادي ليس غريب عن المشافية مثل المنحوتات الافريقية فيي تحكي في صمت وتحفظ ذكرى الماضين الحاضرين.

اللغة الشفوية: الشيء الذي يجعل النصوص الشفيية لها حياة مستمرة لانها تنزع الحجاب وتظهر للمجتمع هويته الخاصة، تاريخه، وحاضره فيي نصوص آنية متكونة من صوت وجمهور مستقبل الان الكلمة الملفوظة هي الشرط الذي يربط القائل بالسامع.

بنية النص: بنية النص الشفهي منظمة ورتمية لحنية تبقى في الذاكرة، وتجذب الانتباه تحتوي على قاعدة بنيوية من خلال الذاكرة تحفظ وتنتقل، عكس النصوص المكتوبة التي تتطلب الرجوع في كل لحظة إلى السطور الاولى لمسك خيوط الافكار.

[106] Menget, Patrick, opcit, p90

[107]

[108] Daniel Cefai, opcit, p67

- **دراسة ايف وينكين WINKIN YVES حول أنثروبولوجيا الاتصال:** االاتصال يعرفو هذا الاخير كل ما ينتجو الانسان في أية وضعية اجتماعية و كذلك هو التعبيرات الناتجة عن كل الفاعلين الاجتماعيين. كما يرى أنّ هناك الكثير من يهتم باالاتصال لكن االاقلية منهم من قام ببناء نظرية بالرجوع إلى ميدان الحياة المجتمعية ولاحظ الاتصال على أصله بالفعل، سماه بانثروبولوجيا االاتصال: تعمل مشاهدة الاتصال عبر الكلام، الحركات، النظرات ...خلال لحياة اليومية كما هي .[109] .

وأنثروبولوجيا الاتصال حسبه هي نظرة معمقة للمجتمع ترتكز على الاعمال الميدانية المتعددة الاماكن المفتوحة مثل دراسة الاتصال في: الاسفار، التظاهرات، زيارة المتاحف، مقالي، حدائق عامة، الموسيقى،الرقص، القرابة... هذا الاقتراب مؤسس على الاثنوغرافيا اللسنيات وعلى الاتصال اللغة، الى الاتصال لا يقتصر على رسالة، تبادل وتقابل بل كذلك على نسق عام المكون لسيرورة الحياة اليومية.

الاتصال الثقافي التثاقفي Edmond Marc Lipiansky: صاحب مقال الهوية والاتصال، ويدرس من خلاله ا اتصال التثاقفي الذي يقصد به لقاء الاشخاص الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة، والعلاقة التي تربط ما بين هؤلاء الاشخاص، مختلفي الجنسية، والتي لا تمثّل سواى عاملا لهذا الاختلاف فالمحيط االجتماعي، الجنس، السن، الاصل الاثني، مكان السكن، الدين والاتجاه السياسي هي التي تحدد هذا النمط من الاتصال إذن الاختلاف بنا يتمحور في الطباع الناتجة عن التنشئة الاجتماعية القائمة على نظام من القيم والمعايير، علاقات معاشة وطقوس، التفاعل النابعة من الثقافة التي ينتمي إلي يا الفرد، تمثل كلها الهوية الثقافية التي منها يستمد الفرد ساوكا ته وسلوكه الاتصالي . في أغلب الاحيان يفسر صعوبة الاتصال مابين الافراد الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة يكون سببيا عدم التحكم في لغة الاخر وبالتالي التحكم في لغته سيزيل الاشكال .

[109] Darnell, Regna, opcit, p 123

3. فضاء انثروبولوجيا الاتصال

نقصد بالفضاء الحيز أو البيئة أو المجال الذي تتم فيه دراسات وبحوث انثروبولوجيا الاتصال، وقد تكون هذه الفضاءات طبيعية أو اصطناعية أو رمزية... ويمكن تحديد انواع الفضاءات الاتصالية من خلال ما يلي:

- **الفضاء الجغرافي:** وهي المنطقة أو المكان أو المجال الذي قد يكون عاما وهو مكان الحوار والنقاش داخل المجتمع حول محتلف القضايا، اعتبر الفيلسوف الألماني (يورجن هابرماس) صاحب نظرية الفضاء العام، (Public Sphere) وهو أوّل من ركّز على ضروة تجاوز الدولة من خلال تشكيل فضاء اجتماعي للفضاء العمومي، الّذي يشكّل النواة الأساسية لنقد الدولة وكيفية أدائها الوظيفي السياسي. طوّر هابرماس مُصطلح الفضاء العام فى كتابه الشهير (التحولات البُنيويّة في المجال العام) ويحاجج هابرماس في كتابه أن بعض قضايا المجتمع تتطلب حراكاً سياسياً أو اجتماعياً يتشارك فيه ويتداخل العام والخاص، بما ينتج عنه تكوين رأي عام تجاه تللك القضايا.[110]

ويعتبر الفضاء العام مكاناً عاماً للحوار والمناقشة حول قضايا عامة لها أصداء مختلفة، سياسياً وإجتماعياً وأي قرارات سياسية أو مجتمعية قد تؤثر على الفرد لحظياً أو مُستقبلياً. وهنالك مفهوم أخر ايضا للفضاء العام الآخر (Public Space) والذي يقصد به كل الأمكنة بشكلها الملموس كالحدائق والمدارس والشوارع، والأسواق والملاعب والأماكن التاريخية والمكاتب العامة والساحات... كما نجد الفضاء الخاص مثل غرف النوم ، البيت العائلي، أو المكان الذي يمتلكه فرد أو مجموعة من الأفراد غير المؤسسات الرسمية والحكومية. وهذا الفضاء يخضع لملكية الأفراد حسب القانون ولا يحق لأي شخص

[110] العلجة، عبد الهادي، مواقع التواصل الاجتماعي فضاء عام أم خاص؟، مقال متوفر على https://www.jadaliyya.com ، تاريخ التصفح 2023/05/12، الساعة 12.20.

أو مؤسسة أو حتى الحكومة ذاتها بالتصرف بهذا الفضاء بدون غطاء قانوني. وعادة هي للاستخدام الفردي أو مجموعة من الأفراد ولا يحق للعامة التمتع بها أو استخدامها.

كما قد تنقسم هذه الفضاءات بانواعها الى قسمين بيئة جغرافية واقعية، وأخرى افتراضية. فالاولى هو ما تم شرحه سابقا، اما الفضاء الثاني وهو ما نتج جراء التطوّر التكنولوجي وما فرضته شبكة الانترنت، حيث زادت مساحة الفضاء العام وتغلب الاراضي على عنصر الملموس، واستوعب هذا الفضاء اجسادنا وعقولنا ووقتنا ووتعاملاتنا ومعاملاتنا... كل ما يحيط بنا.

- **الفضاء الاجتماعي:** يعتبر الإنسان كائنا اجتماعيا بطبعه ؛ يحب الاجتماع والاختلاط والأنس، ويكره العزلة والانفراد والوحشة، أمر ضروري للإنسان لابد منه، من هنا نشأت الجالس البشرية منذ القدم وتعددت، وهذه المجالس يحضرها ويرتادها أناس من شتى الفئات، يأمرونهم، والحديث عن المجتمع لا يمكن أن يتم دون الحديث عن نشاط اتصالي يمُ يمُكِّن الافراد والجماعات من إشباع حاجات لا يمكن أن تشبع اعتمادا على مجهودات الفرد وحده، فالاتصال فعل جماعي ذو سيرورة اجتماعية يعتمد على عدة انساق مترابطة فيما بينها.[111]

- **االفضاء الرمزي:** هو ما ينتج عن التفاعل وكل نشاط اتصالي من رموز ودلالات ومعاني ومختلف العلاقات الرمزية... ومنها ما هو مرتبط بثقافته (الدين اللغة، العادات والتقاليك، الفنون...) وحضارته ذلك ان الرسائل يصعب فهمها ان سلخت عن سياقها الطبيعي ، كما ان هذه البئية تتمثل في علاة الانسان بالتقينة وما ينتج ايضا عنها من معاني ورموز عبر مختلف السلوكات.

ويعد باتيسون من باحثي الولايات المتحدة الامريكية الذي قدّم افادات وخدمات علمية لدراسات البيولوجيا وعلم النفس في دراسة الانثروبولوجيا المميزة والمبتكرة، كما طور العلاقة بين علم الاتصال والانثروبولوجيا، اذ قدم لدراسات الانثروبولوجيا مفاهيم عديدة نقلاً عن نظرية السبرنطيقيا، وقد

[111] يخلف، فايزة: "المؤتلف والمختلف في الفضاء االتصالي المغاربي"، جامعة اجلزائر2 ، من أعمال ن CRASC ، وهران، 2013، ص185

مهدت الطريق دراسته الاثنوجرافية لدراسات اخرى عديدة. فين" المنطلق اذ تشكل دراسته التي اجراها حول طقس "نافين" Naven الذي يمارسه الايتامول المنطلق الانثروبولوجي الاساسي، حيث التقى بمرغريت ميد وأجرى معها ابحاثا عن الرمزية الشعائرية، في هذا العمل جمع باتيسون بين تحليل طقوس التنكر وتفكير نقدي حول طبيعة تفسير الاحداث الاجتماعية الثقافية، تخطى باتيسون المنهج الوظيفي مما جعله يغني التفسير الاجتماعي للطقوس بدراسة مظاهرها المنطقية والوجدانية بالإشارة الى ما سماه "مجموعة التصورات". [112]

- **فضاء السياق:** يعد "السياق" من أهم المباحث التي اهتم ا العلماء قديما وحديثا، حيث يعتبر محورا رئيسيا من محاور الدلالة، وثمرة من ثمرات اللسانيات، ومنهج معتمد في البحث اللغوي. فغاية علوم اللغة جميعا على غرار أنتروبولوجيا اللغة، هو الوصول إلى المعنى. فله أثر كبير في تحديد دلالة الكلمة على وجه الدقة، وبوساطته تتجاوز كلمات اللغة حدودها الدلالية المعجمية المألوفة لتفرز دلالات جديدة قد تكون مجازية أو إضافية أو نفسية أو إيحائية أو اجتماعية. ويعتبر هذا الفضاء في انثروبولوجيا الاتصال ايضا مهما ، اذ يقصد به العوامل الخارجية المحيطة بالعملية الاتصالية والتي على وسيلة التواصل دلالات معينة تتكئ على السياق.

[112] سلمان، حسين فاضل، التواصل الفرعي في منهجية الانثروبولوجست جريجوري باتيسون، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية العدد (34) الاصدار 1 / 7، 2019، ص 105.

ثانيا: الاثنوغرافيا في حقل علوم الاعلام والاتصال

1. نشاة وتطوّر الاثنوغرافيا في بحوث علوم الاعلام والاتصال

لم تعد الاثنوغرافية كنشاط بصري مقتصرة على المجالات الاجتماعية والأنثروبولوجية والنّفسية، والتّربوية والأثرية والطّبيّة، ولكنّها تعدّت إلى مجالات جديدة من الأبحاث كأبحاث المستهلكين والجمهور في ظلّ التّقدم التّكنولوجي الذّي يشهده التّاريخ البشري. حيث يصف المختّصون في علم الاقتصاد الاثنوغرافيا "أنّها منهجية بحث تسمح بوصف كثيف وبليغ للفعل الاجتماعي. رغم أنّها ظهرت بين أحضان العلوم الانسانية كخطوة ملائمة وقادرة على جلب بيانات فهم خاصة بالمجتمعات والثّقافات ومختلف النّشاطات الانسانية. وقد استعملت أساسا لوصف ثقافات الآخر في المجتمعات البدائية. وسرعان ما أصبحت هذه المنهجية البحثية تستخدم في دراسة سكان المدن أي المجتمعات الحضرية، وتمّ استعارة هذه المقاربة من قبل حقل العلوم الاقتصادية خاصة فرع التّسويق بغية دراسة جمهور المستهلكين."[113]

من جهتها لم تفوّت بحوث الإعلام والاتصال فرصة استدعاء هذه المقاربة المنهجية مع نهاية القرن الماضي للوصول الى رؤى حاسمة حول استخدامات وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية في سياقات الحياة اليومية، فقد كان هناك اتجاهات ومجالات لتطبيقها على نطاق واسع، مضيفة بذلك من جهتها جملة من الأفكار والمفاهيم والمصطلحات الجديدة التي أثّثت لبدايات أبحاث أخرى ونتائج علمية تصبّ بالأساس في موضوع جمهور وسائل الإعلام والاتصال على وجه الخصوص. إذ استعار "الباحثون في دراسات الجمهور بهذا المقترب في حالات يكون فيها موضوع الدّراسة غير مألوف لدى فريق التّحقيق وحيث يعتقد أنّ السّياق العام له تأثير مهم في مجريات الدّراسة، يتمّ التركيز عليه لفهم محيط

[113] Baptiste Cléret, op.cit,p 52.

الدّراسة وتكوين نظرة شاملة على مختلف المسائل المرتبطة بموضوع البحث الذي لا يتطلب من الباحث بالضرورة معرفة قبلية به".[114]

وبعدما سيطرت الأبحاث الكميّة طويلا على دراسات الجمهور والتي همّشت في مجملها أهمية المتلقي (القارئ والمستمع والمشاهد) ومختلف تفاعلاته واتجاهات فهمه وتأويلاته للمضامين الاعلامية ولم تعط بذلك معلومات كافية لتّفسير السّلوكات والممارسات الفردية في حد ذاتها.[115] كانت سنوات الثّمانينيات من القرن الماضي نقطة التحوّل ونقل أبحاث الجمهور من دائرة التّأثير (ماذا تفعل وسائل الاعلام بالجمهور؟) بقيادة توجه الدّراسات الثّقافية مع "دافيد مورلي" David Morley ورفقائه، إلى الاهتمام بعناصر العملية الإعلامية والاتصالية من منطلق الملاحظة اثنوغرافية ومحاولة الإجابة على إشكالية "كاتز" ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟ " لا سيما و"أنّ لمشكلات الإنسان طبيعتها الخاصة فهي تختلف اختلافا كليا عن مشكلات المادة."[116] وباعتبار الاثنوغرافيا منهجية بحث تستخدم لدراسة "المنتجات المادية وغير المادية للإنسان والعوامل التي تحدّد عمليات استعارتها وانتشارها بين الشّعوب."[117]

وكان لما قدّمه "ستوارت هول" Stuart Hall من جهود علمية تحليليّة للجمهور في إطار الدّراسات الثّقافية والتي أفضت إلى وجود ثلاثة أصناف من الجمهور: المهيمن والمعارض المفاوض، حيث يمثّل الصّنف الأوّل وجهة النّظر الغالبة أو السّائدة، وأما النّوع الثّاني فيمثّل الجمهور الذي يقرأ الرّسائل انطلاقا من مرجعيته ليختلف بذلك عن العالم الأوّل المهيمن، وأما النّوع الثّالث من الجمهور فهو

---

[114] علي قسايسية، مرجع سابق الذّكر، ص 207

[115] Daniel Cefai et Dominique Basquier, ``**Les sens du public**``, Paris,PUF, 2003, p 18

116 مالك بن نبي، "ميلاد مجتمع"، مرجع سابق الذّكر، ص 102.

[117] Marcel Mauss, ``**manuel de l'ethnographie**``, éditions Payot, Paris, 1947, p 55.

الذي يتفاوض ليتبنى جزءا مما يملى والباقي يستمدّه من مرجعيته الخاصة وواقعه الموضوعي[118] فرسالة إعلامية واحدة لها عدّة معاني وهذا باختلاف القراءات والتّفسيرات، فضلا على أنّ النّص لا يتمّ إنتاجه بمعزل عن العوامل الأخرى ولكن بتدخّل شروط تاريخية تعطي للنّص دلالته ومعناه.[119]

بمعنى أن ابراز السّياقات والظّروف التي تحدث فيها التّأويلات ومختلف التّفاعلات مع المضامين الإعلامية أصبحت من بين أهمّ الانشغالات التي غيّبتها طويلا الدّراسات الإعلامية الكميّة، خاصة وأنّ "المتلقي ليس معزولا في افعاله الاتصالية عن الوسائط التي يستخدمها وليس معزولا أيضا عن محيطه"[120]

وتعتبر النّظرة النّقدية التي قدمها السّوسيولوجي "ميشال دوسيرتو" M. De Certeau بداية القطيعة مع تلك الدّراسات الكميّة للجمهور وكذلك دراسات تحليل المضمون والتي اعتبراها سيرج بروكس ظلّت غير كافية لأنّها توجّهت بالأساس إلى معالجة ظاهرة استخدام التّلفزيون خارج سياقه الواقعي (اليومي) وتحليل مضامين الرّسائل الإعلامية... أو أنّها بحوث قائمة على الأساليب الكميّة التي تعني بقياس حجم الجمهور."[121] كما يرى هذا الباحث الكندي أيضا أنّ "أعمال الباحث "دو سيرتو" تتلاقى مع أعمال الباحث "بلومر Blumer فيما يخصّ الاستعمالات والإشباعات التي تصبّ في الإطار النّفسي والوظيفي بعيدا عن البعد النّقدي. أما النّموذج المقترح من طرف "ميشال دوسيرتو" يفتح في المقابل إشكالية المقاومة اليوميّة ذات الطّبيعة الاجتماعية والسّياسية مقابل عروض أجهزة التّوزيع والاستهلاك."[122]

---

118 أرمان وميشال ماتلار، **تاريخ نظريات الاتصال**"، ترجمة نصرالدين العياضي والصادق رابح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، أكتوبر 2005، ص 123

119 -David morley,``la réception des travaux sur la réception :retour sur public de nationwide", traduit par : Daniel Dayan, **Hermes**, n° 11-12,1993,p 32

120 مخلوف بوكروح، "**التلقي في الثقافة والاعلام**"، مقامات للنشر والتزيع، الجزائر، ط 1، 2011، ص 159.

121 Serge Proulx, "une lecture de l œuvre de Michel De Certeau: l´ invention du quotidien, paradigme de l activité des usages", Communication, vol 15, n 2 automne 1994, p 186.

122 Ibid, p 186.

ونذكّر أنّ "ميشال دو سيرتو" قد طرح إشكالية حبلى برؤية جمالية للحياة اليومية في أبهى تجلياتها البشرية من خلال الكشف عن جملة الإبتكارات والإبداعات التي ينتجها يوميا ذلك الشّخص العادي البسيط المنصهر داخل الحشود. ومنها دعوة إلى "التّعمّق في ظاهرة استخدام التّلفزيون في سياقه اليومي رغم أنّه لم يتوجّه إلى دراسة الممارسات التّليفزيونية.

فهو يعتبرها ممارسة عادية تدور في فضاء من الإبداعات المتردّدة التي تميّزها الحياة اليومية غير الخاضعة لمنطق العقلانية المهيمنة والمنطق البيروقراطي والتّجاري المتحكّم الذي تحكمه أجهزة المراقبة الاجتماعية للمجتمع الاستهلاكي."[123] ليعطي للباحثين مادة تفكير لا تنحصر فقط في الجمهور الفعّال والنّشط الذين تبناها العديد من الباحثين لاحقا والذين سيجدّدون بعمق حقل دراسات التلّقي المنصبّة في مقاربات الاثنوغرافيا والتّحليل النّفسي والتّحليلات القريبة من الدّراسات الثّقافية.

وكتب "ستيوارت هول" في مقدمة كتاب "دفيد مورلي" الذي خصّصه للعائلة والتّلفزيون "أن التّصورات الفردية للمشاهد وللجمهور وحتى للتّلفزيون ذاته قد ارتحلت نهائيا على الأقل _حسب ما نتمناه_ بفضل التّشديد على الاختلافات والمتغيّرات، وإنّ خريطة التّغيرات ناتجة عن العوامل التي تتغلغل في السّياقات الاجتماعية للتلقي التي شرع مورلي في انجازها وان ما تكتشفه هذه الخريطة وصفة عامة، هو التّفاعلات الرّقيقة بين المعنى والمتعة والاستخدام والاختيار."[124]

وبهذا لم يتم الاعتراف للمتلقي بالدّور الفعّال في بناء معاني الرّسائل الاعلامية فحسب وإنّما أيضا بأهمية السّياق الذي تتمّ فيه عملية التلقي، حيث استبدل مفهوم فك التّرميز الذي أحدثه "ستيوارت هول" بمفهوم سياق المشاهدة (....) كما سجل تطوّر آخر في العشرية التّاسعة في دراسات الاستعمالات

[123] Ibid, p 192

[124] ارمان ومشال متلار، مرجع سابق الذّكر، ص 163.

التّكنولوجيات الاتصالية والإعلامية. حيث طرح مفهوم إعادة تسييق دراسة استهلاك التّلفزيون في إطار إجتماعي وتقني وثقافي أوسع. من خلال إدماج هذه التّكنولوجيات في الفضاء الاسري اليومي."[125]

وتعني هذه التّكنولوجيات الموضوع في حدّ ذاته والممارسات المتولّدة عنها والدّلالات التي تثيرها. فالتّكنولوجيا لا تتوفّر فقط على قيمة مادية ولكنّها تتضمّن أيضا قيمة رمزية تأخذ شكلها من خلال استعمالاتها."[126]

ويرى الباحث "اسكينازي" أنّ البحث الاثنوغرافي يتطلّب امكانيات مادية وبشرية هامة، وهو ما قام به الباحث الأمريكي "جيمس لول" James Lull والباحث الألماني "جميس رووج" James Rogge والفرنسي "دومينيك بولي" Dominique Bollier، والتي أفضت بنتائج معتبرة. إذ حلّل الباحث الفرنسي في بحوثه مضامين المحادثات الشّخصية المتعلّقة بحصص وبرامج تلفزيونية مختلفة تمّت مشاهدتها من قبل الفاعلين (المتحدثين). وكانت هذه المحادثات تتمّ في أماكن العمل أو الفضاءات العمومية أو البيت واحتلّ فيها موضوع المسلسلات والبرامج التّلفزيونية مكانة هامة، تتغذى هذه المحادثات من معارف المتحدّثين ومن تأويلاتهم انطلاقا من سياقات متباينة.[127]

وإلى جانب بحوث الملاحظة الاثنوغرافية لأعضاء الجمهور (أفراد، أزواج، عائلات) التي تضع استخدام التّلفزيون في سياق الحياة اليومية (D. Morley et R Silverstone) ارتكز J. Lull أيضا على الملاحظة في عمق العائلة كجماعة طبيعية تمارس المشاهدة، حيث انطلق من إشكالية تدور حول دور التّلفزيون كتكنولوجية منزلية داخل الحياة الأسرية، وأسفرت النّتائج أنّ لهذا الجهاز دوران أساسيان: أوّلهما أنّه أعاد بناء وتشكيل الحياة العائلية على مستوى التّوقيت (السّاعات) وبالتّالي العادات السّلوكية كطرق

---

[125] علي قسايسية، مرجع سابق، ص ص 97 98.

[126] نفس المرجع، ص 99.

[127] Jean-Pierre Esquénazie, ***``La sociologie des publics``***, édition la Découverte, Paris, 2003, pp 84 87

المشاهدة، ثمّ فتح ثانيا باب الحوار بين أفراد الأسرة حول مختلف المضامين التي تتمّ مشاهدتها بمعنى الاتصال العائلي.[128]

من جهته أفضت دراسة الباحث الألماني "جيمس روج" أنّ استخدام الميديا بقيادة التّلفزيون لم يُعيد تشكيل الحياة العائلية (تنظيم الوقت، ارتبط البرامج اليومية للأفراد بالمشاهدة التلفزيونية بطريقة ملفتة للانتباه، التأثّيث في المنزل، الفضاء المنزلي المحتل من قبل التكنولوجيات، التفاعلات..) فحسب وإنّما تسبّب التّلفزيون في خلق الصّراعات العائلية وإبراز المعارضة.

وفي هذا السّياق ذكر هذا السوسيولوجي قصصا يومية كثيرة استمدها من وحي الواقع أهمها أنّ العائلة التي يكون فيها الأب مدمنا على المشاهدة التّلفزيونية يؤثّر على تربية الأبناء خاصة وأنّهم يستغلّون هذا الادمان كوسيط يردع رفض الام لمشاهدتهم التلفزيون.[129]

هذا بالإضافة إلى بحوث حديثة أخرى على غرار تلك التي تتعلّق بعلاقة التّلفزيون والمشاهدين في تكوين الذّاكرة الاجتماعية والهوية المشتركة (Schleesinger وj. Bourdon)، وبحوث تعرض الاغتراب الفردي للمشاهدين عن طريق المقابلة المعمّقة حول الممارسات اليومية واستخدامات التلفزيون... وهي بحوث ستكون لا ريب نقطة ارتكاز لأبحاث أخرى جديدة في ظلّ بيئة تكنولوجية غيّرت الكثير من تفاصيل الحياة، تماما كتلك الأبحاث التي سبقتها من قبل (Herzog, Aderno, Horkeimer, Marcuse, Hoggart, Gerbner,Hogben,Hearold, Klapper,, Bandura,Katz,Curran,Mc Quail, Brown, Zillmann...)

وهكذا نجد أنّ أبحاث الجمهور تبقى ورشة بحث مفتوحة باستمرار[130] تحاول بين أحضانها علوم الإعلام والاتصال أن تؤسّس لنفسها حقلا معرفيا قائما بذاته يغطي فضاءات واسعة، يسعى للبحث في المقاربات والعناصر الاتصالية على اعتبار أنّ الانسان كائن اتصالي وهو يتعامل مع محيطه وبيئته. لا

[128] Ibid, pp 85 86

[129] Ibid, p 86.

[130] Daniel Cefai et Dominique, op.cit, p 18.

سيما وأنّها تصف الإنسان انطلاقا من رؤية جديدة من خلال التّركيز على قدراته الشّخصية أو الفردية أو الاجتماعية وتفاعلاته اليومية في كلّ الأماكن والأوقات، "أي تصف طريقة انفتاح الفرد على العالم وطريقته في فهم الآخر (تصرّفه مع المنظمات والمؤسّسات واستخدام الآلات وكلّ ما توفّره التّكنولوجيات...) فالإنسان يصف الآخر ويصف في نفس الوقت ذاته وتصرفاته."[131]

إذا كانت الأبحاث الاثنوغرافية هي القدرة على رؤية العالم الظّاهر منه والباطن وأنّ ما يمكن أن تقدمه العديد من الفروع العلمية يبقى ناقصا إذا ما نظرنا إلى النّقاط الهامّة التي تكشفها وتقدّمها الاثنوغرافيا فإنّ السّوسيولوجي "*مارسال موس*" يصفها أنّها "الوسيلة الوحيدة لكتابة التاريخ."[132] ويذكر أنّ هذا الباحث الفرنسي كان من أبرز الباحثين الذين وضعوا أسس البحث الاثنوغرافي الحديث، حيث نُشر له كتابان بعد الحرب العالمية الثّانية، حاول من خلالهما إعطاء الاثنوغرافيا مكانتها وأهميتها المستحقّة كمصدر وصفي للمعطيات من بيئتها الطّبيعية، وقد صنّف في كتابه Manuel de l´ ethnographie طرق ملاحظة الحياة الاجتماعية إلى خمس طرق وهي:[133]

الطّريقة المرفولوجية والكاتوغرافية التي تعرّف أعضاء المجتمع المبحوث وتضع خريطة جغرافية له من خلال تسجيل كلّ البيانات والمعلومات المحصّل عليها حوله. والطّريقة الفوتوغرافية التي تعني التّصوير المفصل والدّقيق لكلّ ما هو مدروس دون إهمال لأي زاوية مكانية أو زمانية. وأما الطّريقة الفونوغرافية فتهتمّ بتسجيل الأصوات والحركات... دون تغييب للقراءات والتّعليقات المتعلّقة بها. في حين نجد الطّريقة الفيلولوجية تشترط على الباحث معرفة لغة المجتمع المدروس كضرورة ملحّة حتى لا يفوّت صغائر الأمور. والطّريقة السّوسيولوجية فتهتمّ بتاريخ المجتمع المبحوث من خلال العودة إلى ثلاثة أو أربعة أجيال سابقة لمعرفة تاريخ الأسر وعلاقات القرابة. كما دعا في نفس المؤلّف إلى ضرورة حمل

---

[131] مخلوف بوكروح، **محاضرات في انثروبولوجيا الاتصال**، السنة أولى دكتوراه LMD السنة الجامعية 2013 2014، يوم 15/ 02/ 2014

[132] Marcel Mauss, op.cit, p 17 .

[133] Ibid, p 18 – 21.

الباحث لجريدة الطّريق (أو دفتر الملاحظات) لتسجيل ما يلاحظه. إنّ الاستعمال المتزامن لمختلف هذه الطّرائق لا يسمح فقط بالوصول إلى تحديد الجماهير، بل يمكّن أيضا من التّوصّل إلى تحديد الأفراد المتواجدين ضمن الجمهور والتّعرف عليهم أكثر فأكثر، وللتّحديد أكثر، فإنّ الملاحظة تحاول الإجابة على مجموعة من الإستفهامات: أين؟ من قبل من؟ متى؟ كيف؟ و لماذا وقع هذا الشيء أو ذاك؟.

2. النتنوغرافيا لدراسة الافتراضي

يختلف الفضاء الاليكتروني أو السيبراني عن "الواقعي" لأنّه يرتبط بشكل وثيق بالتكنولوجيات الحديثة وبكل ما توفّره من تسهيلات يومية بصورة فورية ومستدامة، وما تفرضه من تقاليد وممارسات اجتماعية وثقافية.... جديدة. وقد أثارت الطبيعة غير المسبوقة لأشكال وأساليب التبادل والاتصال التي تطورت مع إضفاء الطابع الديمقراطي على إمكانية الوصول إلى شبكة الإنترنت العديد من الأسئلة المتعلقة بإجراءات التحقيق التي يتعين تنفيذها في هذا السياق. والواقع أنه بحلول نهاية التسعينات تساءل الكثيرون عن أساليب دراسة ما يجري على الإنترنت وفهم الآثار الاجتماعية والثقافية لإضفاء الطابع الديمقراطي على إمكانية الوصول إلى إنترنيت[134] . وهو واقع تشكل قضية المنهج وتقنياته معضلة اخرى عند المتخصصين والباحثين محل نزاعات وخلافات لا تهدأ، الأمر الذي دفعهم إلى ضرورة التفكير في ابداع وإحداث تقنيات واقتراح بروتوكولات بحث جديدة، وتحديات منهجية جديدة تتجاوز قواعد المنهج العتيقة المتداولة والتي تهدف الى دراسة الحياة اليومية في ثوبها السيبراني.

كيف يمكن للباحث ان يجوب الأزقة الافتراضية لملاحظة وتتبع عن كثب مختلف الأشكال المعاصرة لعلاقة وسائل الاعلام بالجمهور ثم العودة بشهادات وبملاحظات حية عن هذا السياق؟

وهكذا، احتلت هذه المسألة مكانة كبيرة في الانعكاسات والأعمال في العلوم الاجتماعية المتعلقة باستخدامات الإنترنت. كما لو كانت الجدة في السياق، كانت التقنيات المستخدمة في التواصل والاستخدامات الملحوظة كبيرة لدرجة أنه كان من الضروري تكييف أساليب البحث المستخدمة من

---

[134]Madeleine Pastinelli,``Pour en finiravec l etnographie du vertuel! Des enjeux méthodologiques de l'enquête de terrain en ligne``,``**Anthropologie et Sociétés**``, vol. 35, n° 1-2, 2011, p. 35-52.

Voir Garcia et al. (2009) ; Hine (2000) ; Howard (2002) ; Jones (1999a) ; Kozinets (2002; (Mann et Stewart (2000) ; Markham et Baym (2008) ; Nocera (2002) ; Paccagnella (1997; (Ruhleder 2000

قبل العلوم الاجتماعية، لابتكار بعض منها. والبعض الآخر أن يكون قادرا على دراسة الظواهر الاجتماعية التي تنطوي على استخدام الاتصالات الإلكترونية، أو حتى، أكثر جذريا، لخلق انضباط جديد[135].

ولإعطاء فكرة جيدة عن التفكير الذي أطوره هنا، اسمحوا لي أن أقول إنني أجريت أول دراسة ميدانية على الإنترنت وبدأت بتنفيذ نهج إثنوغرافي أولي في مجتمع إلكتروني في عامي 1996 و 1997 (باستينيلي 1999)، أي قبل فإن اهتمام العلوم الاجتماعية بالظواهر المعنية يتجلى إلى حد كبير، وأن توافق الآراء هذا، الذي يقضي بأن يكون سياق التحقيق هذا مفردا، ينبغي أن يتشكل من خلال الحاجة إلى إعادة التفكير في أساليب دراسته. مثل طلاب الدراسات العليا الآخرين في نفس الوقت، في اللحظة التي كنت اكتشاف الإنترنت مع الحماس، وأنا عفوية (أو حتى ساذجة) التزمت لتطبيق هذا السياق التحقيق الذي كان الفضاء الإلكتروني المبادئ العامة من الطريقة المستفادة في الدورة الأولى. في القيام بذلك، وربما كنت أجبر على التكيف بشكل أكثر أو أقل مبادئ بمهارة وقال لموضوع الدراسة، ولكن يبدو أن تذهب دون أن أقول، لدرجة أن هذا النهج لم يكن، للوهلة الأولى ، ودفع نحو التفكير أو استجواب على الطريقة. وبعد ذلك، وبعد أن ضاعف من تجارب التحقيق في السياق الإلكتروني (باستينيلي 2000، 2006، 2007)، أن من القراءات في الندوات اكتشفت ما يفترض أن نهج معين والأصلي ...

[135] Madeleine Pastinelli,``Pour en finiravec l etnographie du vertuel! Des enjeux méthodologiques de l'enquête de terrain en ligne``,``**Anthropologie et Sociétés**``, vol. 35, n° 1-2, 2011, p. 35-52.

خاتمة

تعتبر الأنثروبولوجيا من العلوم المهمة لانها تدرس النظم الاجتماعية الثقافية التي تقوم عليها المجتمعات البشرية في جميع المجالات، ويحمل هذا العلم مجموعة من الاهتمامات التي يقوم عليها من القيام بالعمليات الاستكشافية في المواضيع المختلفة مثل التكنولوجيا ووسائل الاتصال والاعلام وغيرها، بالإضافة الى عملية دراسة تفسير للأنظمة القانونية والسياسية والاقتصادية التي تحتكم الى المجتمعات بين البشر، بالإضافة الى معرفة معدلات الصحة والمرض والتغيرات الاجتماعي التي تحدث في المجتمعات البشرية.

ومن هنا يتعيّن على الدراسات الأنثروبولوجية أن تحدّد عمليات التغيير الاجتماعي الواقعي والافتراضي حاليا، بطريقة الكشف عن الأنماط والأبنية الاجتماعية الجديدة، وكذلك تحديد كيفيّة تطوّر الظواهر الاجتماعية البسيطة، إلى ظواهر اجتماعية مركّبة... من خلال الدراسات الميدانية المركّزة، والمعمّقة. يمكن القول القول في نهاية المطاف أن الانتروبولوجية الثقافية والاجتماعية لهما آليات وقوانين و هياكل تنظم ذاتها قصد دراسة الإنسان، ولا يجوز الاعتراف بوجود طبيعة بشرية، فلن تكون أبدا خاضعة خضوعا مطلقا لقوانين الطبيعة وحدها، بل هي منظمة داخل علاقات ومؤسسات اجتماعية وانساق معرفية وأخلاقية ودينية و قانونية، وستكون الانتروبولوجية الاجتماعية والثقافية بمثابة عودة الى هذه الطبيعة البشرية المنظمة اجتماعيا و ثقافيا، وهذا ما زاد من توسع العلم الذي تفرع وتنوع بتنوّع المجالات التي اصيحت تزخر بها الحياة البشرية سواء في جانبها الواقعي أو جانبها الافتراضي.

قائمة المراجع

قائمة المراجع باللغة العربية

القواميس

شاكر مصطفى سليم ،**قاموس الأنثروبولوجيا عربي – انجلبزي** ،ط1 ، جامعة الكويت1981 .

المعجم العربي الأساسي، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم . توزيع لاروس 1989.

الكتب

1. أرمان وميشال ماتلار، **تاريخ نظريات الاتصال"**، ترجمة نصرالدين العياضي والصادق رابح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، أكتوبر 2005

2. ابرهيم الساعدي، **ماهي الأنثروبولوجيا، نشاتها، أقسامها وعلاقتها بالعلوم الأخرى**، الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، 2014.

4. أحمد ابو هلال، **مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية**، المطابع التعاونية، عمان 1974.

5. حسين ع. الحميد، احمد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي**، المكتب الجامعي، مصر.

6. حسين فهيم، ، **قصة الانثروبولوجيا : فصول في تاريخ الانسان**، سلسلة عالم المعرفة، 1981 ،الكويت

7. حسين مؤنس، **الحضارة: عوامل قيامها وتدهورها**، عالم المعرفة، عدد كانون الثاني، الكويت، 1978،

8. الزهرة- إبرهيم، **الأنتربولوجيا والأنتروبولوجيا الثقافية**، النايا للدراسات والنشر والتوزيع 2009. .

9. شاكر مصطفى سليم ،**المدخل إلى الأنثروبولوجيا**، مطبعة العايني، 1975 ،

11. علي فهمي خشيم، **نصوص ليبية**، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، 1967.

12. عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان الأنتروبولوجيا**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004 .

13. مالك بن نبي، "**ميلاد مجتمع**"، مرجع سابق الذّكر، ص 102.

14. محمد الجوهري، *الأنثروبولوجيا اسس نظرية وتطبيقات عملية* دار المعرفة الجامعية1997

15. محمد الجوهري، **الأنثروبولوجيا: اسس نظرية وتطبيقات عملية**، دار المعرفة، الإسكندرية، 1979.

16. محمد الجوهري، علياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا**، دار المعرفة، القاهرة، 2007 .

17. محمد صقر خفاجة، **هيرودوت يتحدث عن مصر**، دار العلم، القاهرة، .1966

18. محمد سعيدي، الأنتروبولوجيا، مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية للنشر والتوزيع 2013 ،

19. مخلوف بوكروح، "**التلقي في الثقافة والاعلام**"، مقامات للنشر والتزيع، الجزائر، ط 1، 2011

المواقع الكترونية

1. مبروك بوطقطوقة، **الأنتروبولوجيا العضوية، انظر** موقع أرنتروبوس https://www.aranthropos.com تاريخ الزيارة 2021/11/2، الساعة 12.00.

قائمة المراجع باللغة الاجنبية

Livres

1. AMSELLE, Jean-Loup. 1985. *Au cœur de l'ethnie : ethnie, tribalisme et État en Afrique.* Paris. La découverte.

2. AMSELLE, Jean-Loup. 1999 (1990). *Logique métisse : anthropologie de l'identité en Afrique et ailleurs*. Paris Payot.

5. BALANDIER, Georges. 1955. *Sociologie actuelle de l'Afrique noire*. Paris. PUF.

6.Boorstin, Daniel J. (1985) *The discoveries A history of man's search to know his world and himself.* Vintage books edition.

7. CHIVA, Isac & JEGGLE, Utz (sous la direction de). 1987. *Ethnologies en miroir.* La France et les pays de langue allemande. Paris. Maison des Sciences de l'Homme

8. Daniel Cefai et Dominique Basquier*,* **``Les sens du public``**, Paris,PUF, 2003.

9. Darnell, Regna and Editor, *Reading in a history of Anthropology*, University of Illinois, 1978.

10. DUMONT, Louis. 1951. La Tarasque : essai de description d'un fait local d'un point de vue ethnographique. Paris. Gallimard.

11. DURKHEIM, Émile. 1968 (1912). Les formes élémentaires de la vie religieuse. Le système totémique en Australie. Paris. PUF.

12. ÉLIADE, Mircéa. 1971. La nostalgie des origines. Méthodologie et histoire des religions. Paris. Gallimard,p 67

13.FABRE, Daniel (sous la direction de). 2000. Domestiquer l'histoire. Ethnologie des monuments historiques. Paris. Maison des Sciences de l'Homme,

IZARD, Michel. Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie. Paris. Quadrige/PUF,

Jacques A. Mauduit, *Manuel d'Ethnographie*, Paris, Payot, 1960

Jean-Pierre Esquénazie, ***``La sociologie des publics``***, édition la Découverte, Paris, 2003, pp

Jean-Pierre Esquénazie, ***``La sociologie des publics``***, édition la Découverte, Paris, 2003,

KILANI, Mondher. 1994. « Anthropologie du développement ou développement de l'anthropologie ? Quelques réflexions critiques », in RIST, Gilbert (dir.). La culture otage du développement ?. Paris. L'Harmattan

LAFITAU, Jean-François. 1983. Mœurs des sauvages américains. Paris. La Découverte

Marcel Mauss, **``manuel de l'ethnographie``**, éditions Payot, Paris, 1947.

9. MENGET, Patrick. 2000 (1991). « Histoire de l'anthropologie », in BONTE, Pierre & IZARD, Michel. Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie. Paris. Quadrige/PUF. .

VAN GENNEP, Arnold. 1981 (1909). Les Rites de passage. Paris. Picard,.

VAN GENNEP, Arnold. 1998. Le folklore français. Paris. Laffaut,

Revues

1. ABRE, Daniel, 2000. Domestiquer l'histoire. Ethnologie desmonuments historiques. Paris. Maison des Sciences de l'Homme

2. David morley,``la réception des travaux sur la réception :retour sur public de nationwide", traduit par : Daniel Dayan, **Hermes**, n° 11-12,1993,p 32

3. LENCLUD, Gérard. 1986. « En être ou ne pas en être. L'anthropologie sociale et les sociétés complexes », L'Homme, n° 97-98, pp. 143-153

4. LÉVI-STRAUSS, Claude. 1958. Anthropologie structurale. Paris. Plon,.

5. Madeleine Pastinelli,``Pour en finir avec l'ethnographie du vertuel! Des enjeux méthodologiques de l'enquête de terrain en ligne``,``**Anthropologie et Sociétés**``, vol. 35, n° 1-2, 2011, p. 35-52.

6. MALINOWSKI, Bronislaw.1989 (1963). Les Argonautes du Pacifique occidental. Paris. Gallimard (1ère éd. 1922),

7. MAUSS, Marcel. 1985b (1950). « Esquisse d'une théorie générale de la magie», in MAUSS, Marcel. Sociologie et anthropologie. Paris. Quadrige/PUF, 95
8. MEILLASSOUX, Claude. 1964. Anthropologie économique des Gouro de Côte d'Ivoire. Paris. Mouton,
Serge Proulx, "une lecture de l œuvre de Michel De Certeau: l´ invention du quotidien, paradigme de l activité des usages", **Communication**, vol 15, n 2 automne 1994, p 186.